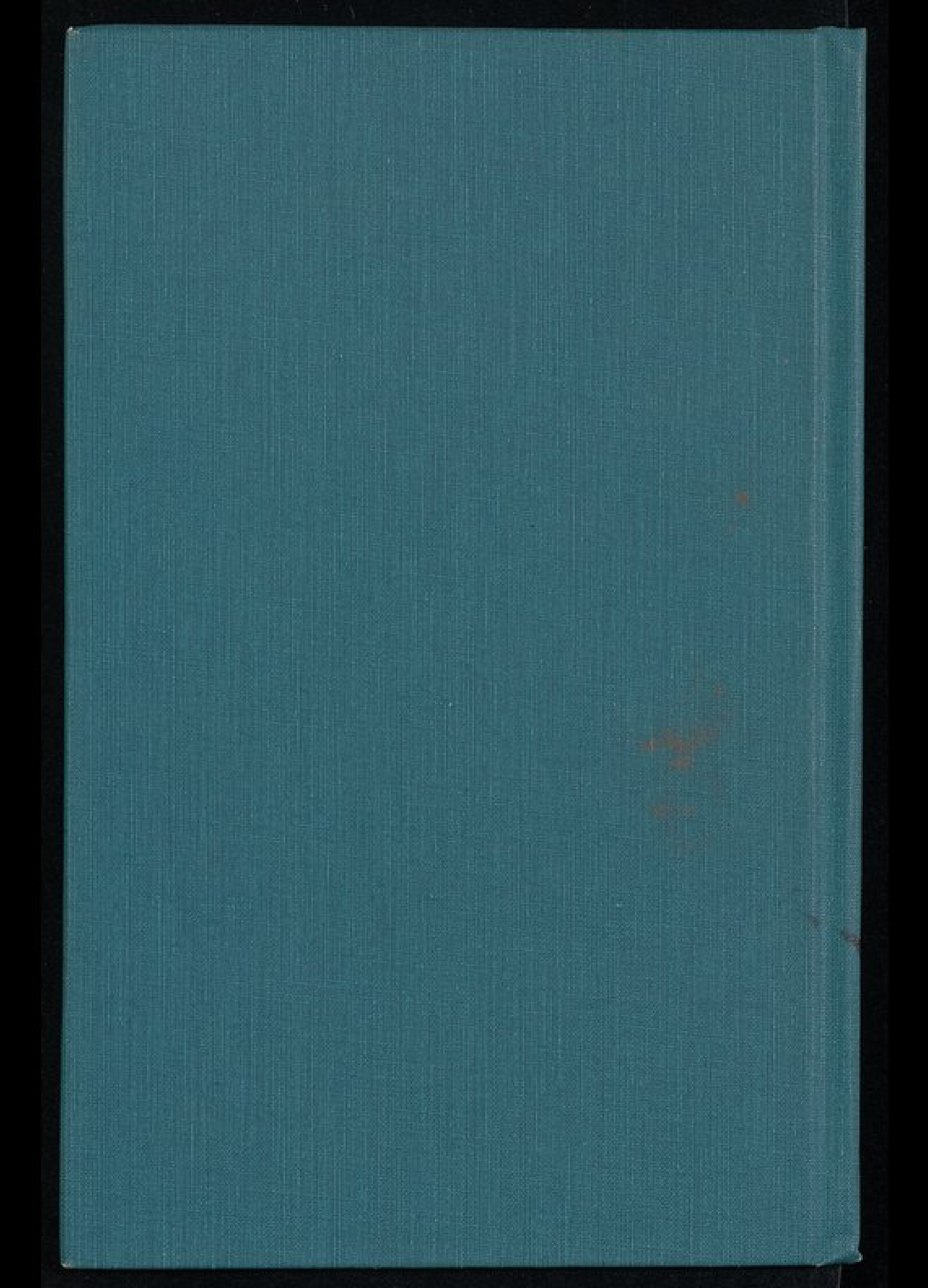
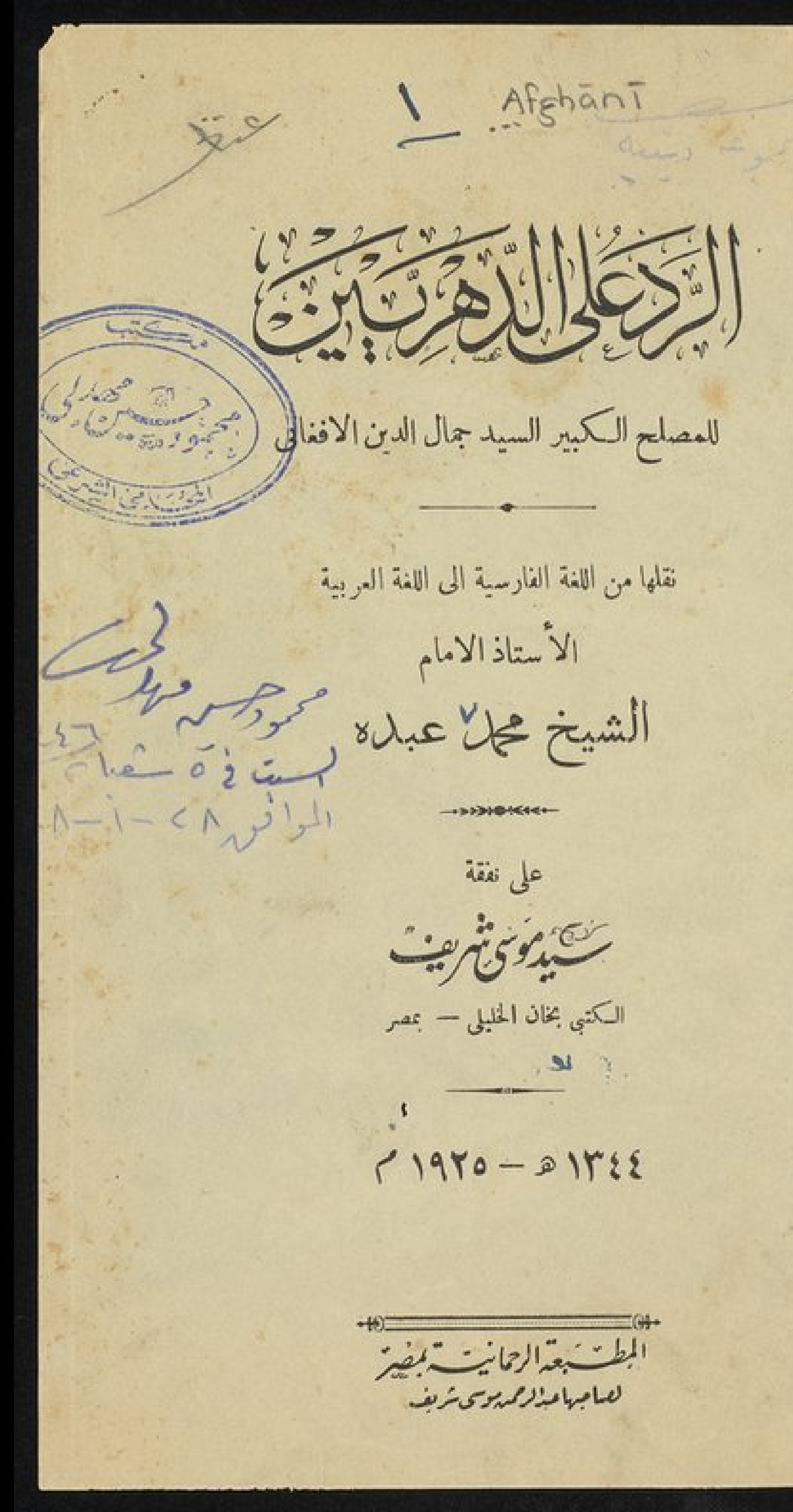




الرد على الدهريين

للمصلح الكبير السيد جمال الدين الافغاني

نقلها من اللغة الفارسية الى اللغة العربية

الأستاذ الامام

الشيخ محمد عبده

على نفقة

سيد موسى شريف

الكتبي بخان الخليلي — بمصر

١٣٤٤ هـ — ١٩٢٥ م

المطبعة الرحمانية بمصر

لصاحبها عبد الرحمن موسى شريف

السيد جمال الدين الأفغانى

السيد جمال الدين الحسينى الافغانى

ولد سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٩ م) وتوفى سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٧ م)

تمهيد

قد تمر القرون وتتوالى الأجيال والناس على ما ساقهم اليه الحاجة من شؤون معائشهم لا يفقهون غثها من سمينها ولا يدركون مبدأها ولا مصيرها حتى تتمخض الطبيعة فتلد من أبنائها أفراداً يميطون عن أسرارها اللثام فيرى الناس من ورائه شرائع ونواميس كانوا عنها غافلين أولئك هم أقطاب العلم وأنوار العالم ومنهم الفلاسفة الطبيعيون الذين مزقوا أستار الجهل وكشفوا غوامض الطبيعة فمهدوا سبل الاختراع والاكتشاف، ومنهم الفلاسفة العقليون الذين استطلعوا أسرار الحكمة المستترة وراء تلك النواميس وبينوا ما أودعه الخالق فى خليقته من القواعد العقلية والروابط الأدبية .

ولكن الطبيعة لا تجود بواحد من أولئك الأفراد الا كل بضعة قرون فيسير الناس على خطواته أجيالا حتى اذا كادوا يرجعون الى غيهم جادت عليهم بآخر ينفث فيهم روحاً حية فيهبون من رقادهم ويعودون الى رشدهم ريثما يأتيهم ثالث

هكذا كان شأن العالم من بدء عمرانه ومن أولئك الفلاسفة سقراط وأفلاطون ومن تقدمهم وجاء بعدهم من فلاسفة اليونان والرومان

والفرس والعرب وغيرهم من علماء المعقول والمنقول ممن لانزال نستضيء بنبراسهم

ولكن لله فى خلقه حكمة لا تدركها العقول فقد ينبغ فى بعض الأجيال أفراد توفرت فيهم قوى الفلاسفة ومواهب رجال الأعمال فتحيط بهم بيئات لا تصلح لنماء ما يغرسون فيذهب سعيهم هباء منثوراً

ولما كان الانسان لا يقدر العمل الا بنسبة ما يترتب عليه من الفائدة كان نصيب كثيرين من عظماء الأرض جهل الناس حق قدرهم واغفال التاريخ ذكرهم كما هو شأننا بفقيد الشرق الفيلسوف الخطيب السيد جمال الدين الأفغانى رحمه الله فقد نشأ قطباً من أقطاب الفلسفة وعاش ركناً من أركان السياسة ولكنه مات ولم يتم عملاً ولا ألف كتاباً على أن ذاك لايحط من مقامه وقد رأينا أعظم فلاسفة اليونان (سقراط) مات ولم يدون شيئاً من كلامه ولكن تلامذته حفظوا فلسفته ودونوها فتوارثها الأجيال خلفاً عن سلف، فعسى أن لانحرم من مريدى الاستاذ وتلامذته من يفعل مثل ذلك

ترجمته

هو السيد محمد جمال الدين بن السيد صفتر ولد فى بيت شرف وعلم بقرية أسعد آباد من قرى كنر من أعمال كابل ببلاد الافغان سنة ١٢٥٤ ﻫ (١٨٣٩ م) ويتصل نسبه الى السيد على الترمذى المحدث المشهور ويرتقى الى الامام الحسين بن على بن أبى طالب ، وآل هذا البيت عشيرة كبيرة تقيم فى خطة كنر ولها منزلة عليا فى قلوب الافغانيين لحرمة نسبها وكانت تملك جزءاً من أرض الأفغان حتى سلب الملك منها دوست محمد خان جد الأمير الحالى وأمر بنقل والد السيد جمال الدين وبعض أعمامه الى مدينة كابل وجمال الدين لا يزال فى الثامنة من عمره فعنى والده فى تربيته وتثقيفه فتلقى مبادئ العلوم العربية والتاريخ ، وعلوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وأصول وكلام وتصوف ، والعلوم العقلية من منطق وحكمة عملية سياسية ومنزلية وتهذيبية وحكمة نظرية طبيعية والهية ، والعلوم الرياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة أفلاك ونظريات الطب والتشريح ، وكانت ملامح النجابة والذكاء ظاهرة فيه منذ نعومة أظفاره فأتم هذا كله وهو فى الثامنة عشرة من عمره

ثم عرض له سفر الى بلاد الهند فأقام بها سنة وبضعة أشهر ينظر فى بعض العلوم الرياضية على الطريقة الافرنجية الحديثة وقدم بعد ذلك الى الأقطار الحجازية لأداء فريضة الحج فقضى سنة ينتقل من بلد الى آخر حتى وافى مكة المكرمة فى سنة ١٢٧٣ ﻫ (١٨٥٧ م) فوقف على

كثير من عادات الأمم التى مر بها فى سياحته ثم رجع الى بلاده وانتظم فى سلك رجال الحكومة على عهد الأمير دوست محمد خان المتقدم ذكره ولما زحف هذا الأمير الى هراة ليفتحها ويملكها على سلطان احمد شاه صهره وابن عمه سار السيد جمال الدين معه فى جيشه ولازمه مدة الحصار الى أن توفى الأمير وفتحت المدينة بعد معاناة الحصر زمناً طويلا ، وتقلد الامارة ولى عهدها شير على خان سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٤ م) وأشار عليه وزيره محمد رفيق خان أن يقبض على اخوته ويعتقلهم فان لم يفعل سعوا بالناس الى الفتنة وألبوهم للفساد طلباً للاستبداد بالامارة ، وكان فى جيش هراة من اخوة الأمير ثلاثة محمد أعظم ومحمد أسلم ومحمد أمين فانتصر السيد جمال الدين لمحمد أعظم فلما أحسوا بتدبير الامير ومشورة الوزير أسرعوا الى الفرار وتفرقوا فى الولايات فذهب كل منهم الى ولايته التى كان يليها من قبل أبيه وطاشت بهم الفتن واشتعلت نيران الحروب الداخلية ، وبعد مجادلات عنيفة عظم أمر محمد أعظم وابن أخيه عبد الرحمن وتغلبا على عاصمة المملكة وأنقذا محمد أفضل والد عبد الرحمن من سجن قزنة وسمياه أميراً على افغانستان ثم أدركه الموت بعد سنة وقام على الامارة بعده شقيقه محمد أعظم خان فارتفعت منزلة جمال الدين عنده فأحله محل الوزير الأول وعظمت ثقته به فكان يلجأ لرأيه فى العظائم وما دونها ، وكادت تخلص حكومة الأفغان لمحمد أعظم بتدبير السيد جمال الدين لولا سوء ظن الأمير بالأغاب من ذوى قرابته حمله على تفويض مهمات من الأعمال الى أبنائه الأحداث وهم خلو من التجربة عراة من الحنكة فساق

الطيش أحدهم وكان حاكما فى قندهار على منازلة عمه شير على فى هراة ولم يكن له من الملك سواها وظن الفتى أنه يظفر فينال عند أبيه حظوة فيرفعه على سائر اخوته فلما تلاقى مع جيش عمه دفعته الجرأة على الانفراد عن جيشه فى مائتى جندى اخترق بها صفوف أعدائه فأوقع الرعب فى قلوبهم وكادوا ينهزمون لولا ما التفت يعقوب خان قائد شير على فوجد ذاك الغر المتهور منقطعاً عن جيشه فكر عليه وأخذه أسيراً فتشتت جند قندهار وقوى الأمل عند شير على فحمل على قندهار واستولى عليها وعادت الحرب الى شبابها وعضد الانكليز شير على وبذلوا له قناطير من الذهب ففرقها فى الرؤساء والعاملين لمحمد أعظم فبيعت أمانات ونقضت عهود وجددت خيانات وبعد حروب هائلة تغلب شير على وانهزم محمد أعظم وابن أخيه عبد الرحمن فذهب عبد الرحمن الى بخارى وذهب محمد أعظم الى بلاد ايران ومات بعد أشهر فى مدينة نيسابور

أما السيد جمال الدين فبقى فى كابل لم يمسسه الأمير بسوء احتراما لعشيرته وخوف انتقاد العامة عليه حمية لآل البيت النبوى الا أنه لم ينصرف عن الاحتيال للغدر به والانتقام منه بوجه يلتبس على الناس حقه بباطله ولهذا رأى السيد جمال الدين خيراً له أن يفارق بلاد الافغان فاستأذن للحج فأذن له على شرط أن لا يمر ببلاد ايران كيلا يلتقى فيها بمحمد أعظم وكان لم يمت بعد فارتحل على طريق الهند سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٩م) بعد هزيمة محمد أعظم بثلاثة أشهر فلما وصل الى التخوم الهندية تلقته حكومة الهند بحفاوة واجلال الا أنها لم تسمح له بطول الاقامة

فى بلادها ولا أذنت للعلماء فى الاجتماع عليه الا تحت مراقبة رجالها فلم يقم هناك الا شهراً ثم سيرته من سواحل الهند فى أحد مراكبها الى السويس فجاء مصر وأقام بها نحو أربعين يوما تردد فيها على الجامع الازهر وخالطه كثير من طلبة العلم السوريين ومالوا اليه كل الميل وسألوه أن يقرأ لهم شرح الاظهار فقرأ لهم بعضاً منه فى بيته ثم تحول عن الحجاز عزمه وتعجل بالسفر الى الاستانة

وبعد أيام من وصوله الاستانة قابل الصدر الأعظم عالى باشا فنزل منه منزلة الكرامة وعرف له الصدر فضله وأقبل عليه بما لم يسبق لمثله وهو مع ذلك بزيه الأفغانى من القباء والكساء والعمامة العجراء وحومت عليه لفضله قلوب الأمراء والوزراء وعلا ذكره بينهم وتناقلوا الثناء على علمه وأدبه وهو غريب عن ازيائهم ولغتهم وعاداتهم ولم تمض ستة أشهر حتى سمى عضواً فى مجلس المعارف فأدى حق الاستقامة فى آرائه ولكنه أشار الى طرق لتعميم المعارف لم يوافقه عليها رفقاؤه وبينها ما ساء شيخ الاسلام اذ ذاك لأنها كانت تمس شيئاً من رزقه فأرصد له العنت حتى كان رمضان سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧١ م) فرغب اليه مدير دار الفنون أن يلقى فيها خطابا للحث على الصناعات فاعتذر اليه بضعفه فى اللغة التركية ، فألح عليه فأنشأ خطابا طويلا كتبه قبل القائه وعرضه على نخبة من أصحاب المناصب العالية فاستحسنوه

فلما كان اليوم المعين لاستماع الخطاب تسارع الناس الى دار الفنون واحتفل له جم غفير من رجال الحكومة وأعيان أهل العلم وأرباب

الجرائد وحضر فى الجمع معظم الوزراء فصعد السيد جمال الدين على منبر الخطابة وألقى ما كان أعده ببلاغة سحرت عقول السامعين ، فأنكر مشائخ العلم شيئاً من آرائه واتصل الأمر بشيخ الاسلام وكان متغيراً عليه كما عامت فالتمس من الدولة ابعاده عن الاستانة فصدر له الأمر بالجلاء عنها بضعة أشهر حتى تسكن الخواطر ويهدأ الاضطراب ثم يعود ان شاء الله ففارقها وحمله بعض من كان معه على التحول الى مصر فجاء اليها فى أول المحرم سنة ١٢٨٨ هـ (٢٢ مارس ١٨٧١ م)

قدم السيد جمال الدين الى مصر على قصد التفرج بما يراه من مناظرها ومظاهرها

ولم تكن له عزيمة على الاقامة بها حتى لاقى صاحب الدولة رياض باشا فاستمالته مساعيه الى المقام وأجرت عليه الحكومة راتباً مقداره ألف غرش مصرى كل شهر نزلا أكرمته به لا فى مقابلة عمل ، واهتدى اليه بعد الاقامة كثير من طلبة العلم واستوروا زنده فأورى واستفاضوا بحره ففاض دراً وحملوه على التدريس فقرأ من الكتب العامية فى فنون الكلام الأعلى والحكمة النظرية من طبيعية وعقلية وفى علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم أصول الفقه الاسلامى وكانت مدرسته بيته فعظم أمره فى نفوس طلاب العلوم واستجزلوا فوائد الأخذ عنه وأعجبوا بعلمه وأدبه وانطلقت الالسن بالثناء عليه وانتشر صيته فى الديار المصرية ، ثم وجه عنايته لتمزيق حجب الاوهام عن أنوار العقول فنشطت لذلك ألباب واستضاءت بصائر وحمل تلامذته على العمل فى الكتابة وانشاء الفصول

الادبية والحكمية والدينية فاشتغلوا على نظره وبرعوا وتقدم فن الكتابة في مصر بسعيه وكان القادرون على الاجادة في المواضيع المختلفة قليلين

فنبغ من تلامذته في القطر المصري كتبة لا يشق غبارهم ولا يوطأ مضمارهم وأغلبهم أحداث في السن شيوخ في الصناعة ومامنهم الا من أخذ عنه أو عن أحد تلامذته أو قلد المتصلين به ، هذا ما حسده عليه أقوام واتخذوا سبيلا للطعن عليه من قراءته بعض الكتب الفلسفية أخذاً بقول جماعة من المتأخرين في تحريم النظر فيها فتمكنوا من نسبة ماأودعته كتب الفلاسفة الى رأى هذا الرجل وأذاعوا ذلك بين العامة ثم أيدهم أخلاط من الناس من مذاهب مختلفة غير أن هذا كله لم يؤثر في مقامه من نفوس العارفين بحاله

وكان رحمه الله على علمه وفضله ميالاً الى السياسة فنظر في حال مصر وما آلت اليه من التداخل الاجنبي فعلم أن لابد من تغير أحوالها وكان قد انتظم في سلك الجمعية الماسونية وتقدم فيها حتى صار من الرؤساء فأنشأ محفلا وطنياً تابعاً للشرق الفرنساوي دعا اليه مريديه من العلماء والوجهاء فصار أعضاؤه نحواً من ثلاثمائة عداً ، فلما عظم أمر محفله دخل الخوف قنصل انكلترا فوشى به الى الحكومة وبث الرقباء في المحفل فسعوا فيه فساداً ، وفي خلال ذلك بلغت أحوال مصر نهاية الارتباك فصرح بأمور فوت حجة الساعين وكان قد تولى مصر المرحوم الخديوى السابق توفيق باشا فأصدر أمره باخراجه من القطر المصري هو وتابعه أبو تراب ففارق مصر الى البلاد الهندية سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م) وأقام بحيدر آباد الدكن

وفيها كتب رسالته فى « نفى مذهب الدهريين » ولما كانت الحوادث العرابية بمصر دعى من حيدر آباد الى كليكتة وألزمته حكومة الهند بالاقامة فيها حتى انقضى أمر مصروفات الحرب الانكليزية ثم أبيح له الذهاب الى أى بلد فاختار الشخوص الى أوربا وأول مدينة نزلها مدينة لوندرا أقام بها أياما قلائل ثم انتقل الى باريس فوافاه اليها صديقه الشيخ محمد عبده المصرى وكانت فى مصر جمعية وطنية اسمها جمعية العروة الوثقى فكلفته على بعد الدار أن ينشئ جريدة تدعو المسلمين الى الوحدة الاسلامية فأنشأ « العروة الوثقى » وكلف صديقه المشار اليه بتحريرها وكان لها وقع حسن فى العالم الاسلامى فنشر منها ١٨ عدداً ثم قامت الموانع دون استمرارها حيث أقفلت أبواب الهند عنها وشددت الحكومة الانكليزية فى اساءة من يقرأها

وقضى جمال الدين فى باريس ثلاث سنوات نشر فى أثنائها مقالات فى جرائدها تبحث فى سياسة روسيا وانكلترا والدولة العلية ومصر ترجمت جرائد انكلترا كثيراً منها ، وجرت له أبحاث فلسفية مع الفيلسوف الفرنساوى رينان فى « العلم والاسلام » فشهد له هذا بسعة العلم وقوة الحجة ثم شخص الى لندرا بايعاز اللورد شرشل واللورد سالسبرى ليسألاه عن رأيه فى المهدى وظهوره اذ ذاك ثم عاد الى فرنسا وتعرف بكثيرين من علمائها وفلاسفتها فأحلوه مكاناً علياً

ثم عزم على نجد فاستقدمه شاه الفرس اذ ذاك المرحوم ناصر الدين شاه على لسان ليراه فسار قاصداً طهران فالتقى فى اصفهان بالامير ظل

السلطان فلاقى منه اكراما حتى اذا وصل طهران استقبله الشاه أحسن استقبال وأكثر من الثناء عليه حيثما ذكره حتى فى بلاطه وبين أهله وأولاده وولاه نظارة الحربية على أن يرقيه بعد قليل الى منصب الصدارة

وكان جمال الدين قد درس أخلاق الامم وعرف تواريخ الدول وتدبر أحوال الفرق السياسية على اختلاف الامكنة والازمنة مع بلاغته وقوة برهانه فنال لدى أمراء الفرس وعلمائها منزلة قل أن ينالها غيره فى مثل حاله فأصبح منزله حلقة علم يأمها سراة البلاد ووجهاؤها يتسابقون الى سماع حديثه فخامر الشاه ريب من أمره مخافة أن يكون وراء ذلك مايخشى منه على سلطانه فأبدى تغيره عليه فأدرك جمال الدين مافى نفسه فاستأذنه فى السفر لتبديل الهواء فأذن له فسار الى موسكو بروسيا فلاقاه أهلها بالتجلة والاكرام لما سبق الى مسامعهم من شهرته ثم شخص الى بطرسبورج وتعرف بأعظم رجالها من العلماء والسياسيين ونشر فى جرائدها مقالات ضافية فى سياسة الافغان والفرس والدولة العلية والروسية والانكليزية كان لها دوى شديد فى جو السياسة

واتفق اذ ذاك فتح معرض باريس لسنة ١٨٨٩ فشخص جمال الدين اليها فالتقى بالشاه فى مونيخ عاصمة بافاريا عائداً من باريس فدعاه الشاه الى مرافقته فأجاب الدعوة وسار فى معيته الى فارس فلم يكد يصل طهران حتى عاد الناس الى الاجتماع به والانتفاع بعلمه والشاه لا يرتاب من أمره كأن سياحته فى أوربا محت كثيراً من شكوكه فكان يقربه منه ويوسطه فى قضاء كثير من مهام حكومته ويستشيره فى سن القوانين ونحوها

فشق ذلك على أصحاب النفوذ وخصوصاً الصدر الاعظم فأسر الى الشاه أن هذه القوانين وان تكن لا تخلو من النفع فهى لا توافق حال البلاد فضلا عما ستؤول اليه من تحويل نفوذ الشاه الى سواه فأثر ذلك فى الشاه حتى ظهر على وجهه فأحس جمال الدين بالامر فاستأذنه فى المسير الى بلدة شاه عبد العظيم على بعد ٢٠ كيلومتراً من طهران فأذن له فتبعه جم غفير من العلماء والوجهاء وكان يخطب فيهم ويستحثهم على اصلاح حكومتهم فلم تمض ثمانية أشهر حتى ذاعت شهرته فى أقاصى بلاد الفرس وشاع عزمه على اصلاح ايران فخاف ناصر الدين عاقبة ذلك فانفذ الى شاه عبد العظيم خمسمائة فارس قبضوا على جمال الدين وكان مريضاً فحملوه من فراشه وساقوه يخفره خمسون فارساً الى حدود المملكة العثمانية فعظم ذلك على مريديه فى ايران فثاروا حتى خاف الشاه على حياته

أما جمال الدين فمكث فى البصرة ريثما عادت اليه صحته فشخص الى لندرا وقد عرفه الانكليز من قبل فتلقوه بالاكرام ودعوه الى مجتمعاتهم السياسية وأنديتهم العلمية ليروه ويسمعوا حديثه وكان أكثر كلامه معهم فى بيان حال الشاه وتصرفه فى المملكة وما آلت اليه حالها فى عهده مع حث حكومة الانكليز على السعى فى خلعه ، وفيما هو فى ذلك ورد عليه كتاب من المابين الهمايونى بواسطة المرحوم رستم باشا سفير الدولة العلية فى لندرا اذ ذاك أن يقدم الى الاستانة فاعتذر بأنه فى شاغل وقتى لاصلاح بلاده فورد عليه كتاب آخر وفيه ثناء وتحريض فأجاب الدعوة تلغرافياً على أن يتشرف بمقابلة جلالة السلطان ثم يعود ، فقدم الاستانة سنة ١٨٩٢

فطابت له فيها الاقامة لما لاقاه من التفات الحضرة السلطانية واكرام العلماء ورجال السياسة ومازال فيها معززاً مكرما وجيهاً محترما حتى داهمه السرطان فى فكه أواخر العام الماضى وامتد الى عنقه فتوفاه الله فى ٩ مارس (١٨٩٧ م) واحتفل بجنازته ودفنه فى مدفن « شيخلر مزارلغى » قرب نشان طاش

صفاته ومناقبه

صفاته الشخصية : كان أسمر اللون بما يشبه أهل الحجاز ربعة ممتلئ البنية أسود العينين نافذ اللحظ جذاب النظر مع قصر فيه فاذا قرأ أدنى الكتاب من عينيه ولكنه لم يستخدم النظارات وكان خفيف العارضين مسترسل الشعر بجبة وسراويلات سوداء تنطبق على الكاحلين وعمامة صغيرة بيضاء على زى علماء الاستانة

طعامه : كان قانتاً قليل الطعام لا يتناوله الا مرة فى النهار ويعتاض عما يفوته من ذلك بما يشربه من منقوع الشاى مراراً فى اليوم والعفة فى الطعام لازمة لمن يعمل أعمالا عقلية لان البطنة تذهب الفطنة ، وكان يدخن نوعا من السيكار الافرنجى الجيد ، ولشدة ولعه بالتدخين وعنايته فى انتقاء السيكار لم يكن يركن الى أحد من خدمه فى ابتياعه فيبتاعه هو نفسه

مسكنه : كان يقيم فى أواخر أيامه بقصر فى نشان طاش بالاستانة أنعم عليه به جلالة مولانا السلطان وفيه الأثاث والرياش وعربة من

الاصطبل العامر يجرها جوادان وأجرى عليه رزقاً مقداره خمس وسبعون ليرة عثمانية فى الشهر ، فكان قبل مرضه الاخير يقيم معظم النهار فى منزله فاذا كان الاصيل ركب العربة لترويح النفس فى منتزه كاغدخانه بضواحى الاستانة وكان كثير القيام لا ينام الا الغلس الى الضحى

مجلسه وخطابه : كان أديب المجلس كثير الاحتفاء بزائريه على اختلاف طبقاتهم ينهض لاستقبالهم ويخرج لوداعهم ولا يستنكف من زيارة أصغرهم على امتناعه من زيارة أكبرهم اذا ظن فى زيارته تزلفاً ، وكان ذا عارضة وبلاغة لا يتكلم الا اللغة الفصحى بعبارات واضحة جلية واذا آنس من سامعه التباساً بسط مراده بعبارة أوضح فاذا كان السامع عامياً تنازل الى مخاطبته بلغة العامة ، وكان خطيباً مصقعاً لم يقم فى الشرق أخطب منه ، وكان قليل المزاح رزيناً كتوماً قد يخاطب عشرات من الناس فى اليوم ، فيبحث مع كل منهم فى موضوع يهمه فاذا خرج جليسه كان خروجه آخر عهده بذلك الموضوع حتى يعود هو اليه بشأنه

أخلاقه : كان حر الضمير صادق اللهجة عفيف النفس رقيق الجانب وديعاً مع أنفة وعظمة ثابت الجأش قد يساق الى القتل فيسير اليه سير الشجاع الى الظفر وكان كريم النفس راغباً عن حطام الدنيا لا يذخر مالا ولا يخاف عوزاً ومما رواه الاديب رحمه الله أن جمال الدين لما أبعد من مصر أنزل فى السويس خالى الجيب فأتاه السيد النقادى قنصل ايران فى ذاك الثغر ومعه نفر من تجار العجم قدموا له مقداراً من المال على سبيل الهدية والقرض الحسن فرده وقال لهم « احفظوا المال فأنتم اليه

أحوج أن الليث لا يعدم فريسة حيثما ذهب » وكان مقداما حاثا على الاقدام فلا يخرج جليسه من بين يديه الا وقد قام فى نفسه محرض على العلى منشط على السعى فى سبيلها ولكنه كان على فضله لا يخلو من حدة المزاج ولعلها كانت من أكبر الاسباب لما لاقاه من عواقب الوشاية

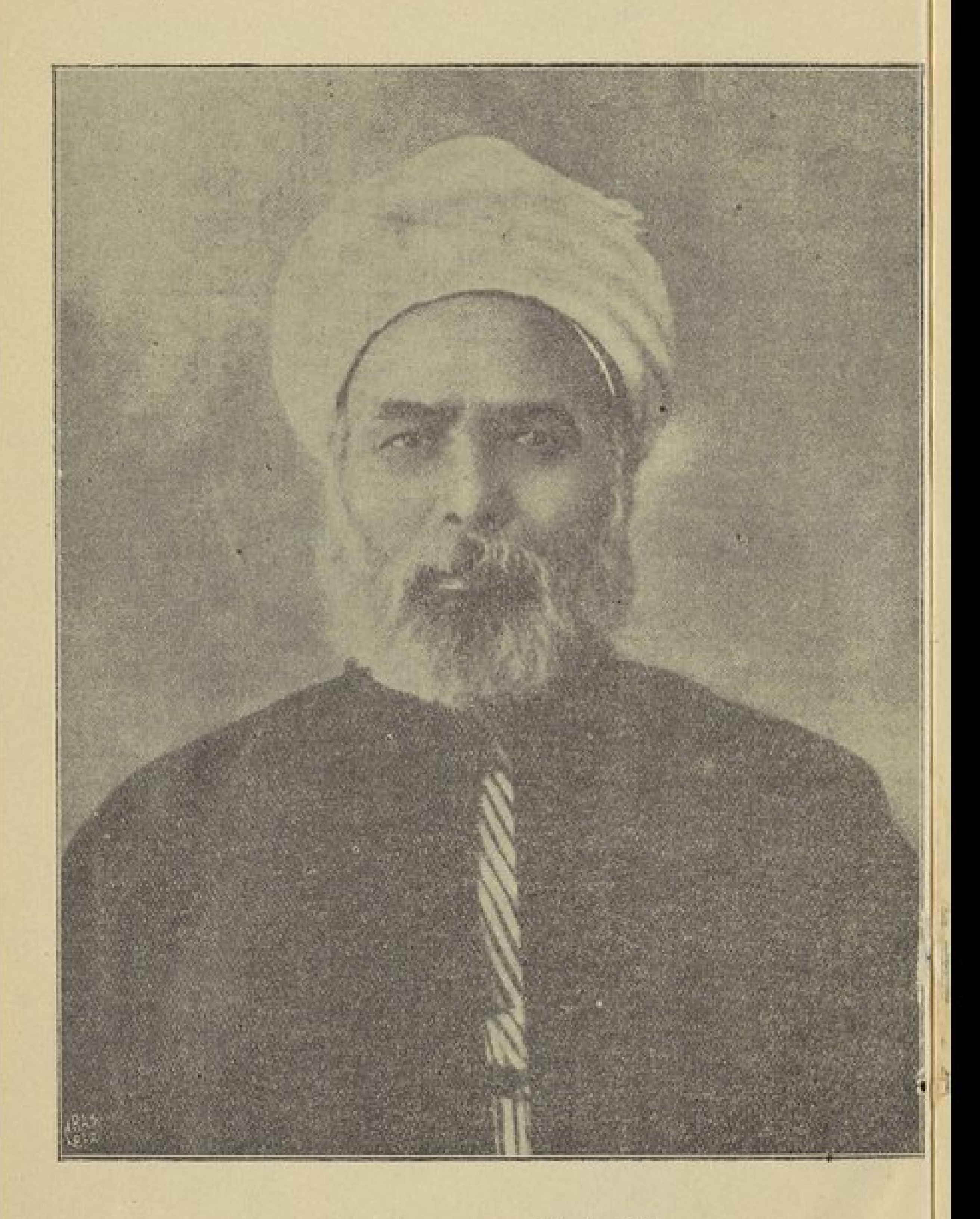
عقله: كان ذكيا فطناً حاد الذهن سريع الملاحظة يكاد يكشف حجب الضمائر ويهتك أستار السرائر دقيق النظر فى المسائل العقلية قوى الحجة ذا نفوذ عجيب على جلسائه فلا يباحثه أحد الاشعر بانقياد الى برهانه وربما لا يكون البرهان بحد ذاته مقنعاً ، وكان مع ذلك قوى الذاكرة حتى قيل انه تعلم اللغة الفرنساوية أو بعضها وصار يقدر على الترجمة منها ويحفظ من مفرداتها شيئاً كثيراً فى أقل من ثلاثة أشهر بلا أستاذ الا من علمه حروف هجائها يومين

علومه: كان واسع الاطلاع فى العلوم العقلية والنقلية وخصوصاً الفلسفة القديمة وفلسفة تاريخ الاسلام والتمدن الاسلامى وسائر أحوال الاسلام ، وكان يعرف اللغات الأفغانية والفارسية والعربية والتركية والفرنساوية جيداً مع المام باللغتين الانكليزية والروسية ، وكان كثير المطالعة لم يفته كتاب كتب فى آداب الامم وفلسفة أخلاقهم الا طالعه وأكثر مطالعته فى اللغتين العربية والفارسية

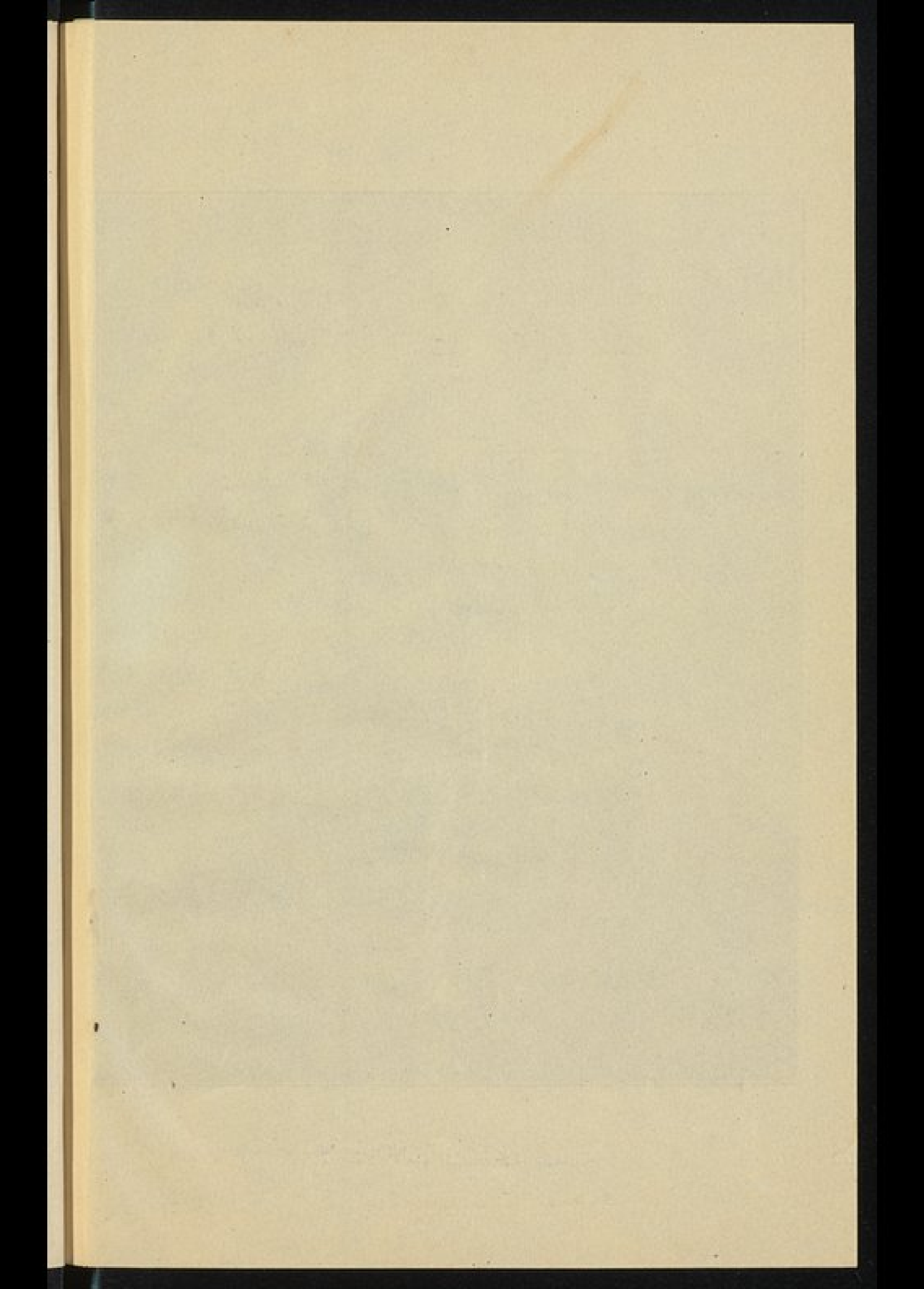
آماله وأعماله: يؤخذ من مجمل أحواله أن الغرض الذى كان يصوب نحوه أعماله والمحور الذى كانت تدور عليه آماله توحيد كلمة الاسلام وجمع شتات المسلمين فى سائر أقطار العالم فى حوزة دولة واحدة اسلامية تحت

ظل الخلافة العظمى وقد بذل فى هذا المسعى جهده وانقطع عن العالم من أجله فلم يتخذ زوجة ولا التمس كسباً ولكنه مع ذلك لم يتوفق الى كل ماأراده فقضى ، ولم يدون من بنات أفكاره الا رسالة فى نفى مذهب الدهريين ورسائل متفرقة فى مواضيع مختلفة قد تقدم ذكرها ولكنه بث فى نفوس أصدقائه ومريديه روحاً حية حركت هممهم ، وحددت أقلامهم فانتفع الشرق وسوف ينتفع بأعمالهم

انتهى — نقلاً عن مجلة « الهلال » فى ١ ابريل سنة ١٨٩٧
— ٢٩ شوال سنة ١٣١٤



الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده



وهذه هى الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

« فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب »

الدين قوام الامم وبه فلاحها ، وفيه سعادتها وعليه مدارها

النيشرية جرثومة الفساد ، وأرومة الأداد ، وخراب البلاد ، وبها هلاك العباد

شاع لفظ النيشرية حتى طبق البلاد الهندية فى هذه الايام وأصبحت هذه الكلمة دائرة فى المحافل سيارة فى المجامع وللعامة والخاصة فيها مذاهب وهم وطرائق وهم ، فالغالب منهم يخبط على بعد من حقيقتها فى غفلة عن أصل وضعها

لهذا رأيت من الحق أن أشرح مفهومها وأكشف المراد منها وأرفع الستار عن حال النيشريين من بداية أمرهم وأعرض للناظرين شيئاً من مفاسدهم وما لحقوا بالنوع الانسانى من المضار التى خبث أثرها وساء ذكرها مستنداً فى ذلك على التاريخ الصحيح آخذاً من البرهان العقلى بدليل يثبت أن هذه الطائفة على اختلاف مظاهرها لم يفش رأيها فى أمة

من الامم الا كان سبباً فى اضمحلالها وانقراضها

أثبت ثقاة المؤرخين أن حكماء اليونان انقسموا فى القرن الرابع والثالث قبل المسيح الى فئتين ، ذهب احداهما الى وجود ذات مجردةعن المادة والمدة مخالفة للمحسوسات فى لوازمها منزهة عن لواحق الجسمانية وعوارضها وأثبتت أن سلسلة الموجودات مادية ومجردة تنتهى الى موجود مجرد واحد من جميع الوجوه مبرأ الذات عن التأليف والتركيب ومحال عند العقل تصور التركيب فيه ، وجوده عين حقيقته وحقيقته عين وجوده وهو المصدر الأول والموجد الحقيق والمبدع لجميع الكائنات مجردة كانت أو مادية ، واشتهرت هذه الطائفة بالمتألهين (الخاضعين لله) ومنهم فيثاغورث وسوقراط وافلاطون وأرسطو ومن أهل مذهبهم كثير ، وذهبت أخرى الطائفتين الى نفى كل موجود سوى المادة والماديات وأن وصف الوجود مختص بما يدرك بالحواس الخمس لا يتناول شيئاً وراءه وعرفت هذه الطائفة بالماديين ، ولما سئلوا عن منشأ الاختلاف فى صور المواد وخواصها والتنوع الواقع فى آثارها نسبه الأقدمون منهم الى طبيعتها ، واسم الطبيعة فى اللغة الفرنسوية (ناتور) وفى الانكليزية (نيشر) ولهذا اشتهرت هذه الطائفة عند العرب بالطبيعيين ، وعند الفرنساويين باسم (نتور اليسم) أو (ماتيير اليسم) الاول من حيث هى طبيعية والثانى من حيث هى مادية

ثم اختلف هؤلاء بعد اعتماد أصلهم هذا فى تكوين الكواكب وتصوير الحيوانات وانشاء النباتات ، فذهب فريق منهم الى أن وجود

الكائنات العلوية والسفلية ونشأة المواليد على ما نرى انما هو من الاتفاق وأحكام الصدفة وعلى ذلك اتقان بنائها وإحكام نظامها لا منشأ له الا الصدفة ، كأنما أدت بهم سخافة الفهم الى تجويز الترجيح بلا مرجح وقد أحالته بداهة العقل

ورأس القائلين بهذا القول ديمقراطيس ، ومن رأيه أن العالم أجمع أرضيات وسماويات مؤلف من أجزاء صغار صلبة متحركة بالطبع ومن حركتها هذه ظهرت أشكال الأجسام وهيئاتها بقضاء العناية المطلقة

وذهب فريق آخر الى أن الاجرام السماوية والكرة الأرضية كانت على هيئتها هذه من أزل الآزال ولا تزال ولا ابتداء لسلسلة النباتات والحيوانات وزعموا أن فى كل بزرة نباتا مندمجا فيها وفى كل نبات بزرة كامنة ثم فى هذه البزرة الكامنة نبات وفيه بزرة الى غير النهاية ، وعلى هذا زعموا أن فى كل جرثومة من جراثيم الحيوانات حيوانا تام التركيب وفى كل حيوان كامن فى الجرثومة جرثومة أخرى يذهب كذلك الى غير نهاية

وغفل أصحاب هذا الزعم عما يلزمه من وجود مقادير غير متناهية فى مقدار متناه وهو من المحالات الأولية

وزعم فريق ثالث أن سلسلة النباتات والحيوانات قديمة بالنوع كما ان الاجرام العلوية وهيئاتها قديمة بالشخص ولكن لا شئ من جزئيات الجراثيم الحيوانية والبزور النباتية بقديم وانما كل جرثومة وبزرة هى بمنزلة قالب يتكون فيه ما يشاكله من جرثومة وبزرة أخرى

وفاتهم ملاحظة أن كثيراً من الحيوانات الناقصة الخلقة قد يتولد عنها حيوان تام الخلقة وكذلك الحيوان التام الخلقة قد يتولد عنه ناقصها أو زائدها

ومال جماعة منهم الى الابهام فى البيان فقالوا ان أنواع النباتات والحيوانات تقلبت فى أطوار وتبدلت عليها صور مختلفة بمرور الزمان وكرور الدهور حتى وصلت الى هيئاتها وصورها المشهودة لنا ، وأول النازعين الى هذا الرأى (ايقور) أحد اتباع (ديوجينس الكلبى) ومن مزاعمه أن الانسان فى بعض أطواره كان مثل الخنزير مستور البشرة بالشعر الكثيف ثم لم يزل ينتقل من طور الى طور حتى وصل بالتدريج الى ما نراه من الصورة الحسنة والخلق القويم ولم يقم دليلا ولم يستند على برهان فيما زعمه من ان مرور الزمان علة لتبدل الصور وترقى الأنواع

ولما كشفت علوم الجيولوجيا (طبقات الأرض) عن بطلان القول بقدم الأنواع رجع المتأخرون من الماديين عنه الى القول بالحدوث ثم اختلفوا فى بحثين ، الأول بحث تكوُّن الجراثيم النباتية والحيوانية فذهب جماعة الى أن جميع الجراثيم على اختلاف أنواعها تكونت عند ما أخذ التهاب الأرض فى التناقص ثم انقطع التكون بانقضاء ذلك الطور الارضى وذهبت أخرى الى أن الجراثيم لم تزل تتكون حتى اليوم خصوصاً فى خط الاستواء حيث تشتد الحرارة

وعجزت كلتا الطائفتين عن بيان السبب لحياة تلك الجراثيم حياة نباتية أو حيوانية خصوصاً بعد ما تبين لهم أن الحياة فاعل فى بسائط الجراثيم

موجب لالتئامها حافظ لكونها وأن قوتها الغاذية هى التى تجعل غير الحى من الأجزاء حياً بالتغذية ، فاذا ضعفت الحياة ضعف تماسك البسائط وتجاذبها ثم صارت الى الانحلال

وظن قوم منهم أن تلك الجراثيم كانت مع الأرض عند انفصالها عن كرة الشمس

وهو ظن عجيب لا ينطبق على أصلهم من ان الأرض عند الانفصال كانت جدوة نار ملتهبة ، وكيف لم تحترق تلك الجراثيم ، ولم تمح صورها فى تلك النيران المستعرة

والبحث الثانى من موضع اختلافهم صعود تلك الجراثيم من حضيض نقصها الى ذروة كمالها وتحولها من حالة الخداج (النقص) الى ما نراه من الصور المتقنة والهيئات المحكمة والبنى الكاملة ، فمنهم قائل بأن لكل نوع جرثومة خاصة به ، ولكل جرثومة طبيعة تميل بها الا حركة تناسبها فى الأطوار الحيوية وتجتذب اليها ما يلائمها من الأجزاء الغير الحية ليصير جزءاً لها بالتغذية ثم تجلوه بلباس نوعه ، وقد غفلوا عما أثبته التحليل الكيماوى من عدم التفاوت بين نطفة الانسان ونطفة الثور والحمار مثلاً وظهور تماثل النطف فى العناصر البسيطة ، فما منشأ التخالف فى طبائع الجراثيم مع تماثل عناصرها ، ومنهم ذاهب الا أن جراثيم الانواع كافة خصوصاً الحيوانية متماثلة فى الجوهر متساوية فى الحقيقةوليس بين الانواع تخالف جوهرى ولا انفصال ذاتى ومن هذا ذهب صاحب هذا القول الى جواز انتقال الجرثومة الواحدة من صورة نوعية الى صورة نوعية أخرى

بمقتضى الزمان والمكان وحكم الحاجات والضرورات وقضاء سلطان القواسر الخارجية

ورأس القائلين بهذا القول (دروين) وقد ألف كتاباً فى بيان ان الانسان كان قرداً ثم عرض له التنقيح والتهذيب فى صورته بالتدريج على تتالى القرون المتطاولة وبتأثير الفواعل الطبيعية الخارجية حتى ارتقى الى برزخ (اوروان أوتان) ثم ارتقى من تلك الصورة الى أول مراتب الانسان فكان صنف اليمم وسائر الزنوج ومن هناك عرج بعض أفراده الى أفق أعلى وأرفع من أفق الزنجيين فكان الانسانى القوقاسى

وعلى زعم دروين هذا يمكن أن يصير البرغوث فيلا بمرور القرون وكر الدهور وأن ينقلب الفيل برغوثا كذلك

فان سئل دروين عن الأشجار القائمة فى غابات الهند والنباتات المتولدة فيها من أزمان بعيدة لا يحددها التاريخ الا ظناً وأصولها تضرب فى بقعة واحدة وفروعها تذهب فى هواء واحد وعروقها تسقى بماء واحد فما السبب فى اختلاف كل منها عن الآخر فى بنيته وأشكال أوراقه وطوله وقصره وضخامته ورقته وزهره وثمره وطعمه ورائحته وعمره فأى فاعل خارجى أثر فيها حتى خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء أظن لا سبيل الى الجواب سوى العجز عنه

وان قيل له هذه أسماك بحيرة أورال وبحر كسبين مع تشاركها فى المأكل والمشرب وتسابقها فى ميدان واحد نرى فيها اختلافا نوعياً وتبايناً بعيداً فى الألوان والأشكال والأعمال ، فما السبب فى هذا

التباين والتفاوت فلا أراه يلجأ فى الجواب الا الى الحصر (بالتحريك العجز عن الكلام)

وهكذا لو عرضت عليه الحيوانات المختلفة البنى والصور والقوى والخواص وهى تعيش فى منطقة واحدة ولا تسلم حياتها فى سائر المناطق أو الحشرات المتباينة فى الخلقة المتباعدة فى التركيب المتولدة فى بقعة واحدة ولا طاقة لها على قطع المسافات البعيدة لتجلو الى تربة تخالف تربتها فماذا تكون حجته فى علة اختلافها . كأنها تكون كسفاً لا كشفاً

بل اذا قيل له أى هاد هدى تلك الجراثيم فى تقصها وخداجها وأى مرشد أرشدها الى استتمام هذه الجوارح والأعضاء الظاهرة والباطنة ، ووضعها على مقتضى الحكمة وايداع كل منها قوة على حسبه ونوطها بكل قوة فى عضو أداء وظيفة وايفاء عمل حيوى مما عجز الحكماء عن درك سره ووقف علماء الفسولوجيا دون الوصول الى تحديد منافعه ، وكيف صارت الضرورة العمياء معلماً لتلك الجراثيم وهاديا خبيراً لطرق جميع الكمالات الصورية والمعنوية لا ريب انه يقبع قبوع القنفذ وينتكس بين أمواج الحيرة يدفعه ريب ويتلقاه شك الى أبد الآبدين

وكأنى بهذا المسكين وما رماه فى مجاهيل الأوهام ومهامه الخرافات الأقرب المشابهة بين القرد والانسان وكأن ما اخذ به من الشبه الواهية الهية يشغل بها نفسه عن آلام الحيرة وحسرات العماية وانا نورد شيئاً مما تمسك به

فمن ذلك ان الخيل فى سيبريا وبلاد الروسية اطول واغزر شعراً من

الخيل المتولدة فى البلاد العربية وانما علة ذلك الضرورة وعدمها

ونقول ان السبب فيما ذكره هو عين السبب لكثرة النبات وقلته فى بقعة واحدة لوقتين مختلفين حسب كثرة الأمطار وقلتها ووفور المياه ونزورها او هو علة النحافة ودقة العود فى سكان البلاد الحارة والضخامة والسمن فى اهل البلاد الباردة بما يعترى البدن من كثرة التحلل فى الحرارة وقلته فى البرودة

ومن واهياته ما كان يرويه (دروين) من ان جماعة كانوا يقطعون اذناب كلابهم فلما واظبوا على عملهم هذا قرونا صارت الكلاب تولد بلا اذناب كأنه يقول حيث لم تعد للذنب حاجة كفت الطبيعة عن هبته . وهل صمت اذن هذا المسكين عن سماع خبر العبرانيين والعرب ومايجرونه من الختان الوفا من السنين لايولد مولود حتى يختن والى الآن لم يولد واحد منهم مختونا الا لاعجاز

ولما ظهر لجماعة من متأخرى الماديين فساد ما تمسك به اسلافهم نبذوا آراءهم واخذوا طريقا جديدة فقالوا ليس من الممكن ان تكون المادة العارية عن الشعور مصدراً لهذا النظام المتقن والهيئة البديعة والأشكال المعجبة والصور الأنيقة وغير ذلك مما خفى سره وظهر اثره ولكن العلة فى نظام الكون علوية وسفلية والموجب لاختلاف الصور والمقدر لأشكالها واطوارها وما يلزم لبقائها تتركب من ثلاثة اشياء (متيير) و (فورس) و (انتليجانس) اى مادة وقوة وادراك

وظنوا ان المادة بما لها من القوة وما يلابسها من الادراك تجلت

وتتجلى بهـذه الأشكال والهيئات وعند ماتظهر بصور الأجساد الحية نباتية كانت او حيوانية تراعى بما لابسها من الشعور ما يلزم لبقاء الشخص وحفظ النوع فتنشئ لها من الأعضاء والآلات ما يفى بأداء الوظائف الشخصية والنوعية مع الالتفات الى الأزمنـة والأمكنة والفصول السنوية . هذا انفس ما وجدوا من حلية لمذهبهم العاطل بعـد ما دخلوا الف جحر وخرجوا من الف نفق وماهو بأقرب الى العقل من سائر اوهامهم ولا هو بالمنطبق على سائر اصولهم فانهم يرون كسائر المتأخرين ان الأجسام مركبة من الأجزاء الديمقراطيسية ، ولا ينطبق رأيهم الجديد فى علة النظام الكونى على رأيهم فى تركيب الأجسام

وذلك لأنه يلزم على القول بشعور المادة ان يكون لكل جزء ديمقراطيسى شعور خاص كما يلزم ان تكون له قوة خاصة ينفصل بهما عن سائر الأجزاء اذ لا يمكن قيام العرض الواحد وحدة شخصية بمحلين فلا يقوم علم واحد بجزئين ولا بأجزاء

وبعد هـذا فانى سائلهم كيف اطلع كل جزء من اجزاء المادة مع انفصالها على مقاصد سائر الأجزاء وبأية آلة افهم كل منها باقيها ما ينويه من مطلبه واى برلمان (مجلس الشورى) او اى سنات (مجلس الشيوخ) عقدت للتشاور فى ابداع هذه المكونات العالية التركيب البديعة التأليف وأنى لهـذه الأجزاء ان تعلم وهى فى بيضة العصفور ضرورة ظهورها فى هيئة طير يأكل الحبوب ، فمن الواجب ان يكون له منقار وحوصلة لحاجته فى حياته اليهما واذا كانت فى بيض الشاهين والعقاب فمن اين لها

العلم بأنها تقوم طيراً يأ كل اللحوم فلابد له من منسر ومخلاب يصول بهما في الصيد لاقتناص ما يحتاج اليه من حيوان ثم ينسر لحمه ليأ كله

ومن اين لها ان تعلم وهي في مشيمة الكلبة انها ستكون على صورة انثى الجرو ثم تكبر حتى تبلغ حد الادراك ثم تكون حبلى لوقت من الأوقات وقد تلد اجراء متعددة في زمن واحد فهي تهيأ لطبيها حلمات كثيرة على حسب حاجة اجرائها

ومن لهذه الأجزاء المتبددة ان تدرك حاجة الحيوانات الى القلب والرئة والمخ والمخيخ وسائر الأعضاء والجوارح ، لو عقلت هذه الطائفة ما رمى اليه سؤالي هذا لارتكست في افكارها وانقلبت الى تيهور من الحيرة لا ترفع منه رأساً ولا تحير جوابا الى ان يتخبطهم شيطان الجهل ، فيقولون ولا يعون ان لكل جزء من هذه الأجزاء الديمقراطيسية علماً بجميع ما كان وما يكون وبجميع ما في العالم من الأجزاء علويا كان أو سفلياً ، ولكل منها حرص على مراعاة نظام الكون واركانه فيتحرك كل منها للانضمام الى الآخر على وفق ما يريده من المصلحة حتى لا يقع الخلل في شيء من نظم العالم عاما كان او خاصاً ، وبهذا قام العالم على ناموس واحد

فان افضت بهم العماية الى هذا القول قلنا اولا يلزمهم ان كل جزء ديمقراطيسي يحتوي على ابعاد غير متناهية وهو في صغره لا يدرك ولا بالمكرسكوب (النظارة المعظمة) وبيان اللزوم ان العلم عندهم انما هو بارتسام الصور المعلومة في ذات العالم وهو مادي في موضوعنا فكل

صورة معلومة تأخذ منه بعداً بمقدارها والصور العلمية على هذا الزعم غير متناهية وكلها يرتسم فى مادة الجزء العالم فيكون فى كل جزء وهو متناه الى غاية الصور أبعاد غير متناهية للصور الغير متناهية ، وهذا مما تبطله بداهة العقل

وثانياً ان كانت الأجزاء الديمقراطيسية بالغة من العلم هذا المبلغ وهى من القوة على نحوه اذ لا قوة الا بها على رأيهم فلم لم تبلغ الكائنات ، وهى هى غاية ما يمكن لها من الكمال ولم تنزل بذواتها الآلام والاوصاب ثم تعانى العناء فى احتمالها أو التخلص منها ولم قصر ادراك الانسان وادراك سائر الحيوانات وهو عين ادراك هذه الأجزاء على هذا المذهب عن اكتناه حالها أنفسها وعجز عن حفظ حياتها

واعجب من هذا ان المتأخرين من الماديين بعد ما صالحوا كل خرافة لتأييد مذهبهم حاصوا الى الحيرة فى بعض الأمور فلم يستطيعوا تطبيقها على أصل من أصولهم الفاسدة : لا أصل الطبع ولا أصل الشعور وذلك عند ما رأوا شيئين يختلفان فى الخواص وعناصرهما تظهر عند التحليل متماثلة ولم يجدوا المحيص عن الوقفة بعد ما قدموا من الترهات الا بالحكم على الأجزاء الديمقراطيسية رجماً بالغيب بأنها ذوات أشكال مختلفة وعلى حسب الاختلاف فى الأشكال والأوضاع كان الاختلاف فى الآثار والخواص .

وبالجملة فهذه عشرة مذاهب اختلف اليها منكروا الالوهية الزاعمون ان لا وجود للصانع الأقدس وهم المعروفون بين شيعهم أو عند الالهيين

بالطبيعين و المادين و الدهريين و ان شئت قلت نيشريين و ناتور اليسميين وماتتير اليسميين. وسنأتى على تفصيل مذاهبهم ودحض حججها بالبينات العقلية فى رسالة أوسع من هذه ان شاء الله تعالى

ولايظنن ظان أنا نقصد من مقالتنا هذا تشنيعاً بهؤلاء (البياجوات) الهنديين (البياجوا اسم ايطاليانى اشتهر فى الهند لمن يقلد الماهر فى اللعب بحركات غير منسقة لاضحاك الناظرين ويعبر عنه فى العربية بالخلابيس وأصله الشئ لانظام له والطبيعيون فى الهند يمثلون أحوال الدهريين فى أوربا تمثيلا مضحكا) كلا ان هؤلاء لا نصيب لهم من العلم بل ولا من الانسانية، فهم بعيدون من مواقع الخطاب ساقطون عن منزلة اللوم والاعتراض، نعم لو أريد انشاء تياترو (ملهى) أو (كطبتلى) (نوع من اللعب يشخصون فيه أحوال ملوك الهند الأقدمين) لتمثل فيه أحوال الأمم المتمدنة مست الحاجة الى هؤلاء لاقامة هذه الألاعيب وانما غرضنا الأصلى اعلان الحق واظهار الواقع والآن نعتمد الشروع فى بيان المفاسد التى جلبها الماديون (النيشريون) على نظام المدنية والمضار التى تضعضع لها بناء الهيئة الاجتماعية وكان منشأوها فشو أفكارهم

مظاهر الماديين ومقاصدهم

تخالفت مظاهر الماديين فى الأمم والأجيال المختلفة ، فتخالفت أسماؤهم ، فكانوا تارة يسمون أنفسهم بسمات الحكما ، وينتحلون الحكيم لقباً لأفرادهم ، وأحياناً كانوا يتسيمون بسما دافع الظلم ورفع الجور ، وكثيراً ما تقدموا لمسارح الانظار تحت لباس عرّاف الاسرار وكشفة الحقائق والرموز والواصلين من كل ظاهر الى باطنه ومن كل بارز الى كامنه وقد كانوا يظهرون فى أوقات بدعوى السعى فى تطهير الأذهان من الخرافات وتنوير العقول بحقائق المعلومات ، وتارات يتمثلون فى صور محبي الفقراء وحماة الضعفاء وطلاب خير المساكين ، وكثيراً ما تجرأوا على دعوى النبوة ولكن لا على سنن سائر المتنبئين الكذبة كل ذلك توسلا لاجراء مقاصدهم وترويج مفاسدهم

كيفما ظهر الماديون وفى أى صورة تمثلوا وبين أى قوم نجموا كانوا صدمة شديدة على بناء قومهم وصاعقة مجتاحة لثمار أممهم وصدعاً متفاقما فى بنية جيلهم يميتون القلوب الحية بأقوالهم وينفثون السم فى الارواح بآرائهم ويزعزعون راسخ النظام بمساعيهم فما رزئت بهم أمة ولا منى بشرهم جيل الا انتكث فتله وسقط عرشه وتبددت آحاد الأمة وفقدت قوام وجودها.

كان الانسان ظلوماً جهولا . خلق الانسان هلوعا . اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعا . جبل الانسان على الحرص وكأنه منهوم

لشرب الدماء لم يحرم الانسان من لطف مبدعه فكما أبدعه ألزم الدين وجوده فتمسك الناس منه بأصول وانطبعوا به على خصال توارثها الابناء عن الآباء فى قرون بعد قرون ومهما غيروا وبدلوا كانت بقايا ما ورثوه لا تزال تشرق على عقولهم بانوار من المعرفة يهتدون بها الى سعادتهم ويقيمون فى ضوئها أساس مدنيتهم ولم يبطل أثرها فى تعديل أخلاقهم وكف أيديهم عن التطاول الى الشرور والمفاسد وبهذا كان للاقدمين من أهل القرون الاولى ما كان لهم من نوع الثبات والبقاء

وطائفة النيشرية كلما ظهرت فى أمة سعت فى قلع تلك الأصول وأفساد تلك الخصال حتى اذا لمع لها بارق من النجاح وهت أركان الامة وانهارت الى هوّاءة الاضمحلال والعدم وهذه الطائفة هى الآن كما كانت تسلك منهج أسلافها الاولين وأنا نوضح ذلك بمجمل من البيان

ما أفاد الدين من العقائد والخصال

أكسب الدين عقول البشر ثلاث عقائد وأودع نفوسهم ثلاث خصال كل منها ركن لوجود الامم وعماد لبناء هيئتها الاجتماعية وأساس محكم لمدنيتها وفى كل منها سائق يحث الشعوب والقبائل على التقدم لغايات الكمال والرقى الى ذرى السعادة ومن كل واحدة وازع قوى يباعد النفوس عن الشر ويزعجها عن مفارقة الفساد ويصدها عن مقاربة ما يبيدها ويبددها

(العقيدة الاولى) التصديق بأن الانسان ملك أرضى وهو أشرف المخلوقات (والثانية) يقين كل ذى دين بان أمته أشرف الأمم وكل

مخالف له فعلى ضلال وباطل (والثالثة) جزمه بأن الانسان انما ورد هذه الحياة الدنيا لاستحصال كمال يهيئه للعروج الى عالم أرفع وأوسع من هذا العالم الدنيوى والانتقال من دار ضيقة الساحات كثيرة المكروهات جديرة أن تسمى بيت الأحزان وقرار الآلام الى دار فسيحة الساحات خالية من المؤلمات لا تنقضى سعادتها ولا تنتهى مدتها

لا يغفل العاقل عما يتبع هذه العقائد الثلاث من الآثار الجليلة فى الاجتماع البشرى والمنافع الجمة فى المدنية الصحيحة وما يعود منها بالاصلاح على روابط الأمم وما لكل واحدة من الدخل فى بقاء النوع والميل بافراده لأن يعيش كل منهم مع الآخر بالمسالمة والموادعة والأخذ بهم الأمم للصعود فى مراقى الكمال النفسى والعقلى

من البين أن لكل عقيدة لوازم وخواص لا تزايلها ، فمما يلزم الاعتقاد بان الانسان أشرف المخلوقات ترفع المعتقد بحكم الضرورة عن الخصال البهيمية واستنكافه عن ملابسة الصفات الحيوانية ولا ريب أنه كلما قوى الاعتقاد اشتد به النفور من مخالطة الحيوانات فى صفاتها وكلما اشتد هذا النفور سما بروحه الى العالم العقلى وكلما سما عقله أوفى على المدنية وأخذ منها باوفر الحظوظ حتى قد ينتهى به الحال الى أن يكون واحداً من أهل المدنية الفاضلة يحيى مع اخوانه الواصلين معه الى درجته على قواعد المحبة وأصول العدالة وتلك نهاية السعادة الانسانية فى الدنيا وغاية ما يسمى اليه العقلاء والحكماء فيها

فهذه العقيدة أعظم صارف للانسان عن مضارعة الحمر الوحشية فى

معيشتها والثيران البرية فى حالتها ومضاربة البهائم السائمة والدواب الهاملة والهوام الراشحة لا تستطيع دفع مضرة ولا التقية من عادية ولا تهتدى طريقاً لحفظ حياتها وتقضى آجالها فى دهشة الفزع ووحشة الانفراد

هذه العقيدة أشد زاجر لابناء الانسان عن التقاطع المؤدى لافتراس بعضهم بعضاً كما يقع بين الاسود الكاسرة والوحوش الضارية والكلاب العاقرة وأشد مانع يدفع صاحبها عن مشاكلة الحيوانات من خسائس الصفات وهذه العقيدة أحجى حاد للفكر فى حركاته وأنجح داع للعقل فى استعمال قوته وأقوى فاعل فى تهذيب النفوس وتطهيرها من دنس الرذائل

ان شئت فارم بنظر العقل الى قوم لايعتقدون هذا الاعتقاد بل يظنون أن الانسان حيوان كسائر الحيوانات ثم تبصر ماذا يصدر عنهم من ضروب الدنايا والرذائل والى أى حد تصل بهم الشرور وبأى منزلة من الدناءة تكون نفوسهم وكيف أن السقوط الى الحيوانية يقف بعقولهم عن الحركات الفكرية

ومن خواص يقين الأمة بانها أشرف الأمم وجميع من يخالفها على الباطل أن ينهض آحادها لمكاثرة الأمم فى مفاخرها ومساماتها فى مجدها ومسابقتها فى شرائف الأمور وفضائل الصفات وأن يتفق جميعها على الرغبة فى فوت جميع الأمم والتقدم عليها فى المزايا الانسانية عقلية كانت أو نفسية ومعاشية كانت أو معادية وتأبى نفس كل واحد عن اعطاء الدنية والرضى بالضيم لنفسه أو لأحد من بنى أمته ولا يسره أن يرى شيئاً من العزة أو مقاما من الشرف لقوم من الاقوام حتى يطلب لأمته أفضله

وأعلاه . ذلك أنه بهذا الاعتقاد يرى أبناء قومه أليق وأجدر بكل ما يعد شرفاً انسانياً

فان جارت صروف الدهر على قومه فأضرعتهم او ثلمت مجدهم أو سلبتهم مزية من مزايا الفضل لم تستقر له راحة ولم تنشأ له حمية ولم يسكن له جيشان فهو يمضى حياته فى علاج ما ألم بقومه حتى يأسوه أو يموت فى أساه

فهذه العقيدة أقوى دافع للأمم الى التسابق لغايات المدنية وأمضى الاسباب بها الى طلب العلوم والتوسع فى الفنون والابداع فى الصنائع وانها لأبلغ فى سوق الأمم الى منازل العلاء ومقاوم الشرف من غالب قاسر ومستبد قاهر عادل

وان أردت فالمح بعقلك حال قوم فقدوا هذا اليقين ماذا تجد من فتور فى حركات آحادهم نحو المعالى وماذا ترى من قصور فى هممهم عن درك الفضائل وماذا ينزل بقواهم من الضعف وماذا يحل بديارهم من الفقر والمسكنة والى أى هوة يسقطون من الذلة والهوان خصوصاً اذا بغى عليهم الجهل فظنوا أنهم أدنى من سائر الملل كطائفة (الدهير) و (مانك)

ومن مقتضيات الجزم بأن الانسان ما ورد هذا العالم الا ليتزود منه كمالا يعرج به الى عالم أرفع ويرتحل به الى دار اوسع وجناب أمرع ليمرع واديه وتجنى حلبه أن من أشربت هذه العقيدة قلبه ينبعث بحكمها وينساق بحاديها لاضاءة عقله بالعلوم الحقة والمعارف الصافية خشية أن يهبط به الجهل الى نقص يحول دون مطلبه ثم ينصرف همه لأبراز ما أودع

فيه من القوة السامية والمدارك العقلية والخواص الجليلة باستعمالها فيما خلقت له فينجلى كماله من عالم الكمون الى عالم الظهور ويرتقى من درجة القوة الى مكانة الفعل فهو ينفق ساعاته فى تهذيب نفسه وتطهيرها من دنس الرذائل ولا يناله التقصير فى تقويم ملكاته النفسية وينزع لكسب المال من الوجوه المشروعة متنكباً عن طرق الخيانة ووسائل الكذب والحيلة معرضاً عن أبواب الرشوة مترفعاً عن الملق الكلبى والخداع الثعلبى ، ثم ينفق ما كسب فى الوجه الذى يليق وعلى الوجه الذى ينبغى وبالقدر الذى ينبغى لا يأتى فيه باطلا ولا يغفل حقاً عاما أو خاصاً

فهذه العقيدة أحكم مرشد وأهدى قائد للانسان الى المدنية الثابتة المؤسسة على المعارف الحقة والأخلاق الفاضلة وهذا الاعتقاد أشد ركن لقوام الهيئة الاجتماعية التى لاعماد لها الامعرفة كل واحد حقوقه وحقوق غيره عليه والقيام على صراط العدل المستقيم هذا الاعتقاد أنجع الذرائع لتوثيق الروابط بين الأمم اذ لا عقد لها الا مراعاة الصدق والخضوع لسلطان العدل فى الوقوف عند حدود المعاملات ، هذا الاعتقاد نفحة من روح الرحمة الأزلية تهب على القلوب ببرد الهدون والمسالمة فان المسالمة ثمرة العدل والمحبة والعدل والمحبة زهر الأخلاق والسجايا الحسنة وهى غراس تلك العقيدة التى تحيد بصاحبها عن مضارب الشرور وتنجيه من متائه الشقاء وتعاسة الجد وترفعه الى غرف المدنية الفاضلة وتجلسه على كرسى السعادة

وقد يسهل عليك أن تتخيل جيلا من الناس حرم هذه العقيدة فكم

يبدو لك فيه من شقاق وكذب ونفاق وحيل وخداع ورشوة واختلاس وكم يغشى نظرك من مشاهد الحرص والشره والغدر والاغتيال وهضم الحقوق والجدال والجلاد وكم تحس فيه من جفاء للعلم وعشوة عن نور المعرفة .

الخصال الثلاثة

وأما الخصال الثلاثة التى توارثتها الأمم من تاريخ قد لا يحد قدما وانما طبعها فى نفوسهم طابع الدين (فاحداها خصلة الحياء) وهو انفعال النفس من اتيان ما يجلب اللائمة وينحى عليها بالتوبيخ وتأثرها من التلبس بما يعد عند الناس نقصاً وفى الحق أن يقال ان تأثير هذه الخلة فى حفظ نظام الجمعية البشرية وكف النفوس عن ارتكاب الشنائع أشد من تأثير مئين من القوانين وآلاف من الشرط والمحتسبين فان النفوس اذا مزقت حجاب الحياء وسقطت الى حضيض الخسة والدناءة ولم تبال بما يصدر عنها من الأعمال فأى عقاب يردعها عن المفاسد التى تخل بنظام الاجتماع سوى القتل وقد لاحظ ذلك (سولون) حكيم اليونان حيث جعل القتل جزاء كل عمل قبيح حتى الكذبة الواحدة

وخلة الحياء يلازمها شرف النفس وهو مما تدور عليه دائرة المعاملات وتتصل به سلسلة النظام وهو مناط صحة العقول والتزام أحكامها وهو معظم الوفاء بالعهود وهو رأس مال الثقة بالانسان فى قوله وعمله وشيمة الحياء هى بعينها شيمة الآباء وسجية الغيرة وانما تختلف أسماؤها باختلاف

جهاتها وآثارها فى ردع النفس عن شئ أو حملها على عمل والأباء والغيرة هما مبعث حركات الامم والشعوب لاستفادة العلوم والمعارف وتسنم قمم الشرف والرفعة وتقوية الشركة وبسط جناح العظمة وتوفير مواد الغنى والثروة .

وكل أمة فقدت الغيرة والأباء حرمت الترقى وان تسنى لها من أسبابه ما تسنى فهى تعطى الدنية ولا تأنف من الخسة وتضرب عليها الذلة والمسكنة حتى ينقضى أجلها من الوجود ، ملكة الحياء تنتهى اليها روابط الألفة بين آحاد الأمة فى معاشراتهم ومخالطاتهم فان حبال الألفة انما يحكمها حفظ الحقوق والوقوف عند الحقوق ، ولا يكون ذلك الا بهذه الملكة الكريمة ،هذه سجية تزين صاحبها بالآداب وتنفر به عن الشهوات البهيمية وتفيض روح الاعتدال على حركاته وسكناته وجميع أعماله هذا هو الخلق الفرد الذى ينهض بصاحبه لمجاراة أرباب الفضائل ويتجافى به عن مضاجع النقائص ويأنف به عن الرضاء بالجهل والغباوة أو الضعة والضراعة ، هذا الوصف الكريم هو منبت الصدق ومغرس الأمانة ، وهما معه فى قرن ، هذا الوصف هو آلة المعلمين والقائمين على التربية والدعاة لمكارم الأخلاق والمولعين بترقية الفضائل صورية ومعنوية يستعملونها فى نصائحهم يذكرون بها الغافل ويحرضون الناكل ويوقظون النائم ، ويقعدون القائم ، ألا ترى المعلم الحكيم كيف يعظ تلميذه بقوله ألا تستحى من تقدم قرينك عليك وتخلفك عنه ، فان لم تكن هذه الخصله فلا أثر للتوبيخ ولا نفع للتقريع ولا نجاح للدعوة ، فانكشف مما بينا أن

هذه الخلة مصدر لجميع الطيبات ومرجع لكل فضيلة وسلم لكل ترق

ويمكن لنا ان نفرض قوما هجر الحياء نفوسهم فماذا نرى فيهم سوى المجاهرة بالفحشاء والمنافسة فى المنكر وشرس الطباع وسوء الأخلاق والاخلاد الى دنيات الأمور وسفاسف الشؤون وكفى بمشهدهم شناعة أن نرى تغلب الشهوات البهيمية عليهم وتملك الصفات الحيوانية لارادتهم، وتسلطها على أفعالهم

(والخصلة الثانية الأمانة) من المعلوم الجلى أن بقاء النوع الانسانى قائم بالمعاملات والمعاوضات فى منافع الأعمال وروح المعاملة والمعاوضة انما هى الأمانة، فان فسدت الأمانة بين المتعاملين بطلت صلات المعاملة وانبترت حبال المعاوضة، فاختل نظام المعيشة وأفضى ذلك بنوع الانسان الى الفناء العاجل

ثم من البين أن الأمم فى رفاهتها والشعوب فى راحتها وانتظام أمر معيشتها محتاجة الى الحكومة بأى أنواعها اما جمهورية أو ملكية مشروطة أو ملكية مقيدة والحكومة فى أى صورها لا تقوم الا برجال يلون ضروباً من الأعمال فمنهم حراس على حدود المملكة يحمونها من عدوان الأجانب عليها ويدافعون الوالج فى ثغورها وحفظة فى داخل البلاد يأخذون على أيدى السفهاء ممن يهتك ستر الحياء ويميل الى الاعتداء من فتك أو سلب أو نحوهما ومنهم حملة الشرع وعرفاء القانون يجلسون على منصات الأحكام لفصل الخصومات والحكم فى المنازعات ومنهم أهل جباية الأموال يحصلون من الرعايا ما فرضت عليهم الحكومة من خراج مع مراعاة قانونها فى ذلك

ثم يستحفظون ما يحصلون فى خزائن المملكة وهى خزائن الرعايا فى الحقيقة
وان كانت مفاتيحها بأيدى خزنتها ومنهم من يتولى صرف هذه الاموال
فى المنافع العامة للرعيـة مع مراعاة الاقتصاد والحكمة كانشاء المدارس
والمكاتب وتمهيد الطرق وبناء القناطر واقامة الجسور واعداد المستشفيات
ويؤدى أرزاق سائر العاملين فى شؤون الحكومة من الحراس والحفظة
وقضاه العدل وغيرهم حسبما عين لهم وهذه الطبقات من رجال الحـكومة
الوالين على أعمالها انما تؤدى كل طبقة منها عملها المنوط بها بحكم الامانة
فان خزيت أمانة أولئك الرجال وهم أركان الدولة سقط بناء السلطة وسلب
الأمن وزاحت الراحة من بين الرعايا كافة وضاعت حقوق المحكومين
وفشا فيهم القتل والتناهب ووعرت طرق التجارة وتفتحت عليهم أبواب
الفقر والفاقة وخوت خزائن الحـكومة وعميت على الدولة سبل النجاح
فان حزبها أمر سدت عليها نوافذ النجاة ولا ريب أن قوماً يساسون
بحكومة خائنة اما أن ينقرضوا بالفساد واما أن يأخذهم جبروت أمة أجنبية
عنهم يسومونهم خسفاً ويستبدون فيهم عسفاً فيذوقون من مرارة العبودية
ما هو أشد من مرارة الانقراض والزوال

ومن الظاهر أن استعلاء قوم على آخرين انما يكون باتحاد آحاد
العاملين والتئام بعضهم ببعض حتى يكون كل منهم لبنية قومه كالعضو
للبدن ولن يكون هذا الاتحاد حتى تكون الأمانة قد ملكت قيادهم
وعمت بالحكم أفرادهم

فقد كشف الحق أن الأمانة دعامة بقاء الانسان ومستقر أساس

الحكومات وباسط ظلال الأمن والراحة ورافع أبنية العز والسلطان وروح العدالة وجسدها ولا يكون شيء من ذلك بدونها

واليك الاختيار فى فرض أمة عطلت نفوسها من حلية هذه الخله الجليلة فلا تجدفيها الا آفات جائحة ورزايا قاتلة وبلايا مهلكة وفقراً معوزاً وذلا معجزاً ثم لا تلبث بعد هذا كله أن تبتلعها بلاليع العدم وتلتهمها أمهات اللهيم

(الخصلة الثالثة الصدق) الانسان كثير الحاجات غير معدود الضرورات وكل ما يسد حاجاته ويدفع ضروراته وراء ستار الخفاء محجوب وتحت حجاب الغيب مكنون. قذف بالانسان من غيب بجهله الى ظهور لا يعرفه فقام فى بدأ نشأته فى زاوية عماء لا يذكر اسماً ولا يعهد رسماً، هذا الانسان على ضعفه كأنما أحفظ الاكوان قبل وجوده فأرصدت له القتال وهيأت له النصال فله فى كل مثناة منها كامنة بلية وفى كل حنو رابضة رزية وكل أفاق سهمه فى قسى الادوار الزمنية ليصيب مقاتل الانسان

منح الانسان خمسة مشاعر السمع والبصر والذوق واللمس ولكن لاغناء بها فى هدايته لأقرب حاجاته وارشاده لدفع ماخف من ضروراته فأحجى أن لا كفاء لها فى استطلاع مكامن البلايا واستكشاف مخابئ الرزايا ليأخذ حذره ويحرز أمره فهو فى حاجة كل الحاجة للاستعانة بمشاعر أمثاله من بنى جنسه والاستهداء بمعارفهم ليتفادى بهدايتهم من بعض لاسعات المصائب ويصيب من الرزق ما فيه قوام معيشته وسداد عوزه والاستهداء انما يكون بالاستخبار ولا تتم فائدة الخبر فى الهداية الا أن

يكون من مصدر صدق يحدث عن موجود ويحكى عن مشهود والا فما الهداية فى خبر لا واقع له

نعم الكاذب يرى البعيد قريباً والقريب بعيداً ويظهر النافع فى صورة الضار والضار فى صورة النافع فهو رسول الجهالة وبعيث الغواية وظهير الشقاء ونصير البلاء

فعلى ما تقدم تكون صفة الصدق ركناً ركيناً للوجود الانسانى وعماداً للبقاء الشخصى والنوعى وموصل العلائق الاجتماعية بين آحاد الشعوب ولا تتحقق ألفة مدنية أو منزلية بدونه

وانظر فيما اذا فقدت أمة خلة الصدق كيف ينيخ الشقاء بها رواحله وينفذ سوء البخت فيها عوامله وكيف ينتثر نظامها ويفسد التئامها

تفصيل غايات النيشريين

هؤلاء جحدة الالوهية فى أى أمة وبأى لون ظهروا كانوا يسعون ولا يزالون يسعون لقلع أساس هذا القصر المسدس الشكل. قصر السعادة الانسانية القائم بستة جدران ثلاث عقائد وثلاث خصال. أعاصير أفكارهم تدكدك هذا البناء الرفيع وتلقى بهذا النوع الضعيف الى عراء الشقاء وتهبط به من عرش المدنية الانسانية الى أرض الوحشة الحيوانية

وضعوا مذاهبهم على بطلان الاديان كافة وعدوها أوهاماً باطلة ومجعولات وضعية وبنوا على هذا أن لاحق لملة من الملل أن تدعى لنفسها شرفاً على سائر الملل اعتماداً على أصول دينها بل الأليق بها على رأيهم أن

تعتقد أنها ليست أولى من غيرها بفضيلة ولا أجدر بمزية ولا يخفى ما يتبع هذا الرأى الفاسد من فتور الهمم وركود الحركات الارادية عن قصد المعالى كما تقدم بيانه

قالوا ان الانسان فى المنزلة كسائر الحيوانات وليس له من المزايا ما يرتفع به على البهائم بل هو أخس منها خلقة وأدنى فطرة فسهلوا بذلك على الناس اتيان القبائح وهونوا عليهم اقتراف المنكرات ومهدوا لهم طرق البهيمية ورفعوا عنهم معايب العدوان

ذهبوا الى أنه لا حياة للانسان بعد هذه الحياة وانه لا يختلف عن النباتات الارضية تنبت فى الربيع مثلا وتيبس فى الصيف ثم تعود ترابا والسعيد من يستوفى فى هذه الحياة حظوظه من الشهوات البهيمية وبهذا الرأى الفاسد اطلقوا النفوس من قيد التأثم ودفعوها الى أنواع العدوان من قتل وسلب وهتك عرض ويسروا لها الغدر والخيانة وحملوها على فعل كل خبيثة والوقوع فى كل رذيله واعرضوا بالعقول عن كسب الكمال البشرى وأعدموها الرغبة فى كشف الحقائق وتعرف أسرار الطبيعة

هذا الوباء المهلك والطاعون المجتاح أعنى النيشريين لا يصيب أهل الحياة لامتناع نفوسهم عن مشاكلة البهائم وابائها عن وضع أقدامها فى منازل الحيوانية المحضة وأنفتها من الاشتراك فى الأموال والابضاع واباحة التناول مما يختص بالغير منها

ولهذا عمد هؤلاء المفسدون الى خلة الحياء ليزيلوها أو يضعفوها فقالوا أن الحياء من ضعف النفس ونقصها فاذا قويت النفوس وتم لها

كمالها لم يفلتها الحياء فى عمل ما كائناً ما كان ، فمن الواجب الطبيعى (فى زعمهم) أن يسعى الانسان فى معالجة هذا الضعف (الحياء) ليفوز بكمال القوة (قلة الحياء) وبهذه الدسيسة يخلطون بين الانسان والهمل ويمزجونه بالهامجات من النعم ويوحدون بين حاله وتصرفه وبين حال الدواب والانعام من اباحة كل عمل والاشتراك فى كل شهوة ويهونون عليه اتيان ما تأتيه فى نزواتها

ولا يخفى ان الامانة والصدق منشأوهما فى النفس الانسانية أمران الايمان بيوم الجزاء وملكة الحياء وقد ظهر أن من أصول مذاهب هذه الطائفة ابطال تلك العقيدة ومحو هذه الملكة الكريمة فيكون تأثير آرائهم فى اذاعة الخيانة وترويج الكذب أشد من تأثير دعوة داع الى نفس الخيانة والكذب ، فان منشأ الفضيلتين مادام فى النفس أثر منه يبعثها على مقاومة الداعى الى الرذيلتين فيضعف أثر دعوته والمؤمن بالجزاء المبرقع بالحياء ان سقط فى الخيانة أو الكذب مرة وجد من نفسه زاجراً عنهما مرة أخرى أما لو محى الايمان والحياء وهما منشأ الصدق والأمانة من لوح النفس فلا يبقى منها وازع عن ارتكاب ضديهما

ويزيد فى شناعة ماذهبوا اليه ان فى أصولهم الاباحة والاشتراك المطلقين فيزعمون ان جميع المشتهيات حق شائع والاختصاص بشئ منها يعد اغتصاباً كما سيذكر فلم يبق للخيانة محل فان الاحتيال لنيل الحق لا يعد خيانة ومثلها الكذب ، فانه يكون وسيلة للوصول الى حق مغتصب (فى زعمهم) فلا يعد ارتكابا للقبيح ، لاجرم ان آراء هذه الطائفة

مروجة للخيانات باعثة على افتراء الاكاذيب حاملة بالأنفس على ارتكاب الشرور والرذائل واتيان الدنايا والخبائث وأن أمة تفشو فيها هذه الحوالق لجديرة بالفناء جالية عن باحة البقاء . فقد انكشف الجفاء بما بينا عن فساد مشارب هذه الطائفة وعن وجه سوقها الأمم والشعوب الى مهاوى الهلكة والدمار

وأقول انها من أشد الاعداء للنوع الانسانى كافة فان ما هاج فى رؤس ابنائها من الماليخوليا يخيل لهم أن الاصلاح فيما يزعمون ويصور لهم حقيقة النجاح فى صور ما يتوهمون فيبعثهم هذا الفساد لا يقاد النار فى بيت هذا النوع الضعيف ليمحوا بذلك رسمه من لوح الوجود فان من الظاهر عند كل ذى ادراك أن أفراد هذا النوع يحتاجون فى بقائهم الى الى عدة صنائع لو لم تكن أهلكتهم حوادث الجو وأعوزهم القوت الضرورى والصنائع المحتاج اليها تختلف أصنافها و تتفاوت درجاتها فمنها الخسيس والشريف ومنها السهل ومنها الصعب وهذه الطائفة النيشرية تسعى لتقرير الاشتراك فى المشتهيات ومحو حدود الامتياز ودرس رسوم الاختصاص حتى لا يعلو أحد عن أحد ولا يرتفع شخص عن غيره فى شىء ما ويعيش الناس كافة على حد التساوى لا يتفاوتون فى حظوظهم ، فان ظفرت هذه الطائفة بنجاح فى سعيها هذا ولاق هذا الفكر الخبيث بعقول البشر مالت النفوس الى الأخذ بالاسهل والأفضل فلا تجد من تتجشم مشاق الاعمال الصعبة ولا من يتعاطى الحرف الخسيسة طلباً

للمساواة فى الرفعة فان حصل ذلك اختل نظام المعيشة وتعطلت المعاملات وبطلت المبادلات وأفضى الى تدهور هذا النوع فى هوة الهلاك نعم أن أفكار المصابين بالماليخوليا لا تنتج أحسن من هذه النتيجة ولو فرضنا محالا وعاش بنو الانسان على هذه الطريقة العوجاء فلا ريب أن تمحى جميع المحاسن وضروب الزينة وفنون الجمال العملى ولا تكون لبهاء الفكر الانسانى أثر ويفقد الانسان كل كمال ظاهر أو باطن صورى أو معنوى ويعطل من حلى الصنائع وتغرب عنه أنوار العلم والمعرفة ويصبح فى ظلام جهل وبلاء أزل وينقلب كرسى مجده وينثل عرش شرفه ويصحر فى بادية الوحشية كسائر أنواع الحيوان ليقضى فيها أجلا قصيراً مفعما بضروب من الشقاء محاطاً بانواع من المخاوف محشواً باخلاط من الاوجال والاهوال فان المبدأ الحقيقى لمزايا الانسان انما هو حب الاختصاص والرغبة فى الامتياز فهما الحاملان على المنافسة السائقان الى المباراة والمسابقة فلو سلبتهما أفراد الانسان وقفت النفوس عن الحركة الى معالى الأمور وأغمضت العقول عن كشف أسرار الكائنات واكتناه حقائق الموجودات وكان الانسان فى معيشته على مثال البهائم البرية ان أمكن له ذلك وهيهات هيهات

مسالك النيشريين فى طلب غاياتهم

سلكوا مخالج من الطرق لبث أوهامهم الفاسدة فكانوا اذا سكنوا الى جانب أمن جهروا بمقاصدهم بصريح المقال . واذا أزعجتهم سطوة العدل

أخذوا طريق الرمز والاشارة وكنوا عما يقصدون ولوحوا الى ما يطلبون ومشوا بين الناس مشية التدليس

وتارة كانوا يحملون على أركان القصر المسدس ليصدعوها بجملتها فى آن واحد وأخرى كانوا يعمدون الى بعضها اذا رأوا قوة المانع دون سائرها فيجعلون ما قصدوا منها مرمى انظارهم ويكدحون لهدمه بما استطاعوا من حول وقوة ، وقد تلجئهم الضرورة الى البعد عن الاركان الستة باسرها فلا يأتون بما يمسها مباشرة ولكنهم يدأبون لابطال لوازمها أو ملزوماتها ليعود ذلك بأبطالها ، وقد يكتفون بأنكار الصانع جل شأنه وجحد عقائد الثواب والعقاب ويجهدون لافساد عقائد المؤمنين علماً منهم بأن فساد هاتين العقيدتين ﴿ الاعتقاد بالله والاعتقاد بالثواب والعقاب ﴾ لامحالة يفضى الى مقاصدهم ويؤدى الى نتيجة أفكارهم ، وكثيراً ما سكتوا عن ذكر المبادىء وسقطوا على ذات المقصد وهو الاباحة والاشتراك وأخذوا فى تحسينه وتزيينه واستمالة النفوس اليه وقد يزيدون على الدعوة الاقناعية باى وجوهها عملا جاهلياً تأنف منه الطباع وتأباه شرائع الانسانية ذلك أن يأخذوا معارضيهم بالغدر والاغتيال فكثيراً ما فتكوا بآلاف من الارواح البريئة وأراقوا سيولا من الدماء الشريفة بطرق من الحيل وضروب من الختل

ضرر مذاهب النيشريين

حتى بعقول من لا يأخذ بها اذا خالطهم

متى ظهر النيشريون فى أمة نفذت وساوسهم فى صدور الاشرار من تلك الأمة واستهوت عقول الخبثاء الذين لايهمهم الا تحصيل شهواتهم ونيل لذاتهم من أى وجه كان لموافقة هذه الآراء الفاسدة لأهوائهم الخبيثة فيميلون معهم الى ترويج المشرب النيشرى واذاعته بين العامة غير ناظرين الى ما يكون من أثره. ومن الناس من لايساهمهم فى آرائهم ولا يضرب فى طرقهم الا أنه لايسلم من مضارها ومفاسدها فان الوهن يلم باركان عقائده والفساد يسرى لاخلاقه من حيث لايشعر حيث أن اغلب الناس مقلدون فى عقائدهم منقادون للعادة فى أخلاقهم وأقل التشكيك وأدنى الشبهة يكفى علة لزعزعة قواعد التقليد وضعضعة قوائم العادة . وان هؤلاء النيشريين بما يقذفون بين الناس من أباطيلهم يبذرون فى النفوس بذور المفاسد فلا يلبث أن تنمو فى تراب الغفلة فتكون ضريعاً وزقوماً

ولهذا قد يعم الفساد أفراد الأمة التى تظهر فيها هذه الطائفة وكل لايدرى من أى باب دمر الفساد على قلبه فتشيع بينهم الخيانة والغدر والكذب والنفاق ويهتكون حجاب الحياء وتصدر عنهم شنائع تنكرها الفطرة البشرية يأتون ما يأتون من تلك القبائح مجاهرة بلا تحرج وكل

منهم وان كان يدعى بلسانه أنه مؤمن بيوم الجزاء وفى نفسه أن ذلك اعتقاده واعتقاد آبائه الا أن عمله عمل من يعتقد أن لاحياة بعدهذه الحياة لسريان عقائد النيشريين الى قلبه وهو فى غفلة عن نفسه فلهذا تغلب عليهم الأثرة وهو افراط الشخص فى حبه لنفسه الى حد لو عرض فى طريق منفعته مضرة كل العالم لطلب تلك المنفعة وان حاق الضرر بمن سواه . ومن لوازم هذه الصفة أن صاحبها يؤثر منفعته الخاصة على المنافع العامة ويبيع جنسه وأمته بأبخس الأثمان بل لايزال به الحرص على هذه الحياة الدنيئة يبعث فيه الخوف ويمكن فيه الجبن حتى يسقط به فى هاوية الذل ويكتفى من الحياة بمدها وان كانت مكتنفة بالذلة محاطة بالمسكنة مبطنة بالعبودية فاذا وصلت الحال فى أمة الى أن تكون آحادها على هذه الصفات تقطعت فيها روابط الالتئام وانعدمت وحدتها الجنسية وفقدت قوتها الحافظة وهوت عروش مجدها وهجرت الوجود كما هجرها

بيان الامم التى خنعت للذل وضرعت للضيم

بعد العزة والشرف بما أفسد فيهم النيشريون (الدهريون)

شعب « الكريك » أى اليونانيون كانوا قوماً قليلى العدد وبما الهموا أو ورثوا من العقائد الثلاث خصوصاً عقيدة أن أمتهم أشرف الامم وبما أودعوا من الصفات الثلاث خصوصاً صفة الانفة والاباء وهى عين الحياء ثبتوا احقابا فى مقاومة الأمة الفارسية وهى تلك الأمة العظيمة التى كانت تمتد من نواحى كشغر الى ضواحى استنبول ذلك فوق مابلغوه من

الدرجات العالية فى العلوم الرفيعة وقد حملهم الخوف من الذل والأنفة من العبودية على الثبات فى مواقف الابطال بل رسخ بهم ذلك ولا رسوخ الجبال حذراً من الوقوع فيما لا يليق بارباب الشرف وابناء المجد حتى آل بهم الأمر أن تغلبوا على تلك الدولة العظيمة « دولة فارس » وهدموا أركانها ومدوا أيديهم الى الهند . وكانت صفة الأمانة قد بلغت من نفوسهم الى حيث كانوا يرجحون الموت على الخيانة . كما تراه فى قصة « تيمستوكليس » وهو قائد يونانى نبذه ابناء جلدته وطردوه وأرصدوا له القتل فاضطر للفرار من أيديهم والتجأ الى « ارتكزيكسيس » ملك فارس فلما كانت حرب بين فارس واليونان أمره ارتكزيكسيس أن يتولى قيادة جيش لحرب اليونان فأبى أن يحارب أمته وان كانت طردته فلما ألح عليه الملك الفارسى ولم يجد محيصا تناول السم ومات أنفة من خيانة بلاده . راجع تاريخ اليونان .

ظهر ابيقور الدهرى واتباعه الدهريون فى بلاد اليونان متسمين بسيما الحكماء وانكروا الالوهية « وانكارها أشد المنكر ومنبع كل وبال وشر كما يأتى بيانه » ثم قالوا ما بال الانسان معجب بنفسه مغرور بشأنه يظن ان الكون العظيم انما خلق خدمة لوجوده الناقص وزعم أنه أشرف المخلوقات وانه العلة الغائية لجميع المكونات . ما بال هذا الانسان قاده الحرص بل الجنون والخرق الى اعتقاد ان له عوالم نورانية ومعاهد قدسية وحياة أبدية ينقل اليها بعد الرحلة من هذه الدنيا ويتمتع فيها بسعادة لا يشوبها شقاء ولذة لا يخالطها كدر . ولهذا قيد نفسه بسلاسل كثيرة

من التكاليف مخالفاً نظام الطبيعة العادل . وسد فى وجه رغبته أبواب اللذائذ الطبيعية وحرم حسه كثيراً من الحظوظ الفطرية مع أنه لا يمتاز عن سائر الحيوانات بمزية من المزايا فى شأن من الشؤن بل هو أدنى وأسفل من جميعها فى جبلته وأنقص من كلها فى فطرته وما يفتخر به من الصنائع فانما أخذه بالتقليد عن سائر الحيوانات فالنسج مثلا نقله عن العنكبوت والبناء استن فيه بسنة النحل ورفع القصور وانشاء الصوامع أخذ فيه مأخذ النمل الأبيض وادخار الأقوات حذا فيه حذو جنس النمل وتعلم الموسيقى من البلبل وعلى ذلك بقية الصنائع . فان كان هذا شأنه من النقص فليس من اللائق به أن يقذف بنفسه فى ورطات المتاعب والمشاق عبثاً ومن الجهل أن يغتر بهذه الحياة التى لا تمتاز عن حياة سائر الحيوانات بل ولا جميع النباتات وليس وراءها حياة أخرى فى عالم آخر بل أجدر به أن يلقى ثقل التكاليف عن عاتقه ويقضى حق الطبيعة البدنية من حظ اللذة ومتى سنح له عارض رغيبة حيوانية وجب عليه تناوله من أىّ وجوهه وعليه أن لا ينقاد الى ما تخيله له أوهام الحلال والحرام واللائق وغير اللائق « لبئس ماسولت لهم أنفسهم نعوذ بالله » فتلك أمور وضعية « فى زعمهم » تقيد بها الناس جهلا فلا ينبغى لابن الطبيعة أن يجعل لها من نفسه محلا ولما امتنعت عليهم نفوس أهل الحياء من الأمة فلم تأخذ منها وساوسهم وجدوا تلك الصفة الكريمة سداً دون طلبتهم فانصبوا عليها يقصدون محوها من الانفس وأعلنوا أن الحياء ضعف فى النفس على ما تقدم وزعموا أن من الواجب على طالب الكمال أن يكسر

مقاطر العادات (جمع مقطرة وهى خشبة فيها خروق بقدر أرجل المحبوسين) ويحمل نفسه على ارتكاب ما يستنكره الناس حتى يعود من السهل عليه أن يأتى كل قبيح بدون انفعال نفسى ولا يجد أدنى خجل فى المجاهرة بأية هجينة كانت

ثم تقدم الابيقوريون الى العمل بما يرشدون اليه فهتكوا حجاب الحياء ومزقوا استاره وأراقوا ماء الوجه الانسانى المكرم فاستحلوا التناول من مال الناس بغير اذن وكانوا متى رأوا مائدة اقتحموا عليها سواء طلبوا اليها أم لم يطلبوا حتى سماهم القوم بالكلاب فاذا رأوهم رموهم بالعظام المعروقة ومع ذلك لم تتنازل هذه الكلاب الانسية عن دعوى الحكمة ولم يردها رادع الزجر عن شئ من شرورها وكانت تنبح فى الأسواق منادية المال مشاع بين الكل وتهجم على الناس من كل ناحية وهذا سبب شهرتهم بالكلبيين

فلما ضربت أفكار النيشريين « الدهريين » فى نفوس اليونان بسمى الابيقوريين ونشبت بعقولهم سقطت مداركهم الى حضيض البلادة وكسد سوق العلم والحكمة وتبدل شرف أنفسهم بالذل واللؤم وتحولت أمانتهم الى الخيانة وانقلب الوقار والحياء قحة وتسفلا واستحالت شجاعتهم الى الجبن ومحبة جنسهم ووطنهم الى المحبة الشخصية وبالجملة فقد تهدمت عليهم الأركان الستة التى كان يقوم عليها بيت سعادتهم وانتقض أساس انسانيتهم ثم انتهى أمرهم بوقوعهم أسرى فى أيدى الرومانيين « جنس

اللاتين » وكبلوا فى قيود العبودية زمنا طويلا بعد ما كانوا يعدون حكاما فى الارض بلا معارض

« الأمة الفارسية » بلغت فيها الاصول الستة أعلى مكانة من الكمال احقابا طويلة فكانت لها أصول السعادة وموارد النعيم حتى بلغ اعتقاد الفارسيين من الشرف لأنفسهم الى حد أنهم كانوا يزعمون أن السعداء من غيرهم انما هم الداخلون فى عهدهم المستظلون بحمايتهم او المجاورون لممالكهم

كان الصدق والامانة أول التعليم الدينى عندهم ووصلوا فى التحرج من الكذب الى حيث كانوا اذا بلغت الحاجة مبلغها من أحدهم لايتقدم للاقتراض خوف أن يضطره الدين الى الكذب فى مواعيد وفائه فارتفعوا بهذه الخصال الى درجة من العزة وبسطة الملك يلزم لبيانها كتاب مثل الشاهنامه

قال المؤرخ الفرنساوى فرنسيس لونورمان أن مملكة فارس على عهد دارا الاكبر كانت إحدى وعشرين ايالة ، واحدة منها تحتوى مصر وسواحل القلزم « البحر الاحمر » وبلوجستان والسند ، وكانوا اذا ألم الضعف بسلطانهم فى زمنٍ من الأزمان بعثتهم تلك العقائد القويمة والصفات الكريمة على تلافى أمرهم تخلصوا مما ألم بهم فى قليل زمن ورجعوا الى مكانتهم الأولى ومجدهم الأعلى

ظهر فيهم « مزدك » النيشرى « الدهرى » على عهد « قباد » وانتحل لنفسه لقب رافع الجور ودافع الظلم وبنزغة من نزغاته قلع أصول السعادة من أرض الفارسيين ونسفها فى الهواء وبددها فى الاجواء فانه

بدأ تعليمه بقوله ، جميع القوانين والحدود والآداب التى وضعت بين الناس
قاضية بالجور مقررة للظلم وكلها مبنى على الباطل وأن الشريعة النيشرية
المقدسة لم تنسخ حتى الآن وقد بقيت مصونة فى حرزها عند الحيوانات
والبهائم ، أى عقل وأى فهم يصل الى سر ما شرعته النيشر « الطبيعة »
وأى إدراك يحيط بمثل ما أحاط به وقد جعلت الطبيعة حق المأكل والمشرب
والبضاع مشاعا بين الآكلين والشاربين والمبضاعين بدون أدنى تخصيص
فما الحامل للانسان على حرمان نفسه من بضاع بنته وأمه وأخته ثم تركهن
لغيره يتمتع بهن انقياداً لما يخيله له الوهم مما يسميه شريعة وأدبا ، وأى
حق يستند اليه من يدعى ملكية خاصة فى مال يتصرف فيه دون سواه
مع أنه شائع بينه وبين غيره ، وأى وجه لمن يحجر على امرأة دخلت فى
عقده ويحظر على الناس نيلها وقد خلق الذكر للأنثى والأنثى للذكر
وماذا يوجد من العدل فى قانون يحكم بأن المال الشائع اذا تناولته يد
مغتصب بما يسمونه بيعاً وشراءاً أو ارثاً يكون مختصاً بذلك المغتصب
ثم يحكم على الفقير المحروم اذا احتال لأخذ شيء من حقه والتمتع به بأنه
خائن أو غاصب

فان كان هذا شأن تلك القوانين الجائرة فعلى الانسان أن يفك
أغلالها من عنقه ويطرح كل قيد عقدته القوانين والشرائع والآداب التى
لا واضع لها سوى العقل الانسانى الناقص وليرجع الى سنة الطبيعة المقدسة
ويقضى حق شهوته من اللذائذ التى أباحتها له بأى الوجوه ومن أية الطرق
ويأخذ فى ذلك مأخذ البهائم وعليه أن يقاوم الغاصبين المتحكمين فى الحقوق

قسراً « أى المالكين للأموال والابضاع » فيخرجهم عن سوء فعالهم من الغصب والجور « أى حق التملك »

فلما ذاعت هذه النزغات الخبيثة بين الأمة الفارسية تهتك الحياء وفشا الغدر والخيانة وغلبت الدناءة والنذالة واستولى حكم الصفات البهيمية على نفوسهم وفسدت أخلاقهم وذلت طباعهم

نعم أن أنو شروان قتل مزدك وجماعة من شيعته ولكنه لم يستطع محو هذه الأوهام الفاسدة بعد ما علقت بالعقول والتبست نفايتها بالافكار فكان علة فى ضعفهم حتى اذا هاجمهم العرب لم تكن الا حملة واحدة فانهزموا مع أن الروم وهم أقران الفارسيين ثبتوا فى مجالدة العرب ومقاتلتهم أزماناً طويلة

الامة الاسلامية

جاءتها الشريعة المحمدية والديانة السماوية فأشربت قلوبها تلك العقائد الجليلة ومكنت فى نفوسها تلك الصفات الفاضلة وشمل ذلك آحادهم ورسخت بينهم تلك الاصول الستة بدرجة يقصر القلم دون التعبير عنها فكان من شأنهم أن بسطوا سلطانهم على رؤس الأمم من جبال الألب الى جدار الصين فى قرن واحد وحثوا تراب المذلة على رؤس الأكاسرة والقياصرة مع أنهم لم يكونوا الا شرذمة قليلة العدد نزرة العدد ولم ينالوا هذه البسطة فى الملك والسطوة فى السلطان إلا بما حازوا من العقائد الصحيحة والصفات الكريمة . هذا الى ما جذبه مغناطيس فضائلهم من

مائة مليون دخلوا فى دينهم فى مدة قرن واحد من أمم مختلفة مع أنهم كانوا يخيرونهم بين الاسلام وشيء زهيد من الجزية لا يثقل على النفوس أداؤه هكذا كان حال هذه الأمة الشريفة من العزة ومنعة السلطان

فلما كان القرن الرابع بعد الهجرة ظهر النيشريون (الطبيعيون) بمصر تحت اسم الباطنية وخزنة الاسرار الألهية وانبثت دعاتهم فى سائر البلاد الاسلامية خصوصاً بلاد ايران ، علم هؤلاء الدهريون أن نور الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة واتم التسليم قد أنار قلوب المسلمين كافة وأن علماء الدين الحنيفى أقاموا على حراسة عقائد المسلمين وأخلاقهم بكمال علم وسعة فضل ودقة نظر فلهذا ذهب أولئك المفسدون مذاهب التدليس فى نشر آرائهم وبنوا تعليمهم على أمور أولا اثارة الشك فى القلوب حتى يتفكك عقد الايمان وثانياً الاقبال على الشاك وهو فى حيرته ليمنوه بالنجاة منها وهدايته الى اليقين الثابت فاذا انقاد لهم أخذوا منه مواثيقهم ثم أوصلوه الى مرشدهم الكامل وثالثاً أوعزوا الى دعاتهم أن يلبسوا الرؤساء الدين الاسلامى لباس الخدعة وجعلوا من شروط الداعى أن يكون بارعا فى التشكيك ماهراً فى التلبيس مقتدراً على اشراب القلوب مطالبه ، فاذا سقط الساقط من المغرورين فى حبالة مرشدهم الكامل فأول مايلقنه المرشد قوله : ان الاعمال الشرعية الظاهرة (كالصلاة والصيام ونحوهما) انما فرضت على المحجوبين دون الوصول الى الحق والحق هو المرشد الكامل فحيث أنك وصلت الى الحق فاليك أن تلق عن عاتقك ثقل الاعمال البدنية فاذا مضى عليه زمن فى عهدهم صرحوا له بأن جميع

الاعمال الباطنة والظاهرة وكذلك سائر الحدود والاعتقادات انما ألزمت فرائضها بالناقصين المصابين بأمراض من ضعف النفوس ونقص العقول أما وقد صرت كاملا فلك الاختيار فى مجاوزة كل حد مضروب والخروج من اكنان التكاليف الى باحات الاباحة الواسعة . ما الحلال وما الحرام . ما الأمانة وما الخيانة . ما الصدق وما الكذب . ماهى الفضائل وماهى الرذائل . ألفاظ وضعت لمعان مخيلة ومالها من حقيقة واقعية « فى زعم المرشد »

فاذا قرر المرشد أصول الاباحة فى نفوس اتباعه التمس لهم سبيلا لانكار الالوهية وتقرير مذهب النيشرية « الدهريين » فأتى اليهم من باب التنزيه فقال الله منزه عن مشابهة المخلوقات ولو كان موجوداً لأشبه الموجودات ولو كان معدوماً لأشبه المعدومات فهو لا موجود ولا معدوم « يعنى انه يقر بالاسم وينكر المسمى » مع ان شبهته هذه سفسطة بديهية البطلان فان الله منزه عن مشاركة الممكنات فى خصائص الامكان أما فى مطلق الوجود فلا مانع من أن يتفق اطلاق الوصف عليهما وعليه وان كان وجوده واجباً ووجودها ممكناً

وقد جدت طائفة الباطنية فى افساد عقائد المسلمين زمانا غير قصير أخذاً بالحيلة ونفاذاً بالخدعة حتى انكشف أمرهم لعلماء الدين ورؤساء المسلمين فانتصبوا لدرء مفاسدهم وتحويل الناس عن ضلالاتهم فلما رأوا كثرة معارضيهم شحذوا شفار الغيلة ففتكوا بكثير من الصالحين وأراقوا دماء جم غفير من علماء الأمة الاسلامية وأمراء الملة الحنيفية

وبعض أولئك المفسدين عند ما أمكنته الفرصة ووجد من نفسه

ريح القوة أظهر مقاصده على منبر « الموت » « قلعة فى خراسان »
وجهر بآرائه الخبيثة فقال : اذا قامت القيامة حطت التكاليف عن الاعناق
ورفعت الاحكام الشرعية سواء كانت متعلقة بالاعمال البدنية الظاهرة
أو الملكات النفسية الباطنة والقيامة عبارة عن قيام القائم الحق وأنا القائم
الحق فليعمل عامل ما أراد فلاحرج بعد اليوم إذ رفعت التكاليف وخلصت
منها الذمم « أى أغلقت أبواب الانسانية وفتحت أبواب البهيمية »

وبالجملة فهؤلاء الدهريون من أهل التأويل أى « الناتور اليسم »
من الاجيال السابقة الاسلامية عملوا على تغيير الاوضاع الآلهية بفنون
من الحيل ودعوا كل كمال انسانى نقصاً وكل فضيلة رذيلة وخيلوا للناس
صدق مايزعمون ثم تطاولوا على جانب الالوهية فحلوا عقود الايمان بها
بالسفسطة التى سموها تنزيها ومحوا هذا الاعتقاد الشريف من لوح القلوب
وفى محوه محو سعادة الانسان فى حياته وسقوطه فى هاوية اليأس والشقاء

فأفسدوا أخلاق الملة الاسلامية شرقاً وغرباً وزعزعوا أركان
عقائدها وساعدهم مد الزمان على تلويث النفوس بالاخلاق الرديئة وتجريدها
من السجايا الكاملة التى كان عليها أبناء هذه الملة الشريفة حتى تبدلت
شجاعتهم بالجبن وصلابتهم بالخور وجرأتهم بالخوف وصدقهم بالكذب
وأمانتهم بالخيانة ووقع المسخ فى هممهم فبعد ان كان مرماها مصالح الملة
عامة صارت قاصرة على المنافع الشخصية الخاصة وعادت رغباتهم لا تخرج
عن الشهوات البهيمية . وكان من عاقبة ذلك ان جماعة من قزم الافرنج
صدعوا أطراف البلاد السورية وسفكوا فيها دماء آلاف من أهاليها

الابرياء وخربوا ما أمكنهم أن يخربوا وثبتوا بها نحو مائتى سنة والمسلمون في عجز عن مدافعتهم ، مع أن الافرنج كانوا قبل عروض الوهن لعقائد المسلمين وطروء الفساد على أخلاقهم فى قلق لا يستقر لهم أمن على حياتهم وهم فى بلادهم خوفاً من عادية المسلمين وكذلك قام جماعة من أوباش التتر والمغول مع جنكيز خان واخترقوا بلاد المسلمين وهدموا كثيراً من المدن المحمدية وأهدروا دماء ملايين من الناس ولم تكن للمسلمين قدرة على دفع هذا البلاء عن بلادهم مع أن مجال خيولهم فى بدء الاسلام على قلة عددهم كان ينتهى الى أسوار الصين

وما نزل بالمسلمين شيء من هذه المذلات والاهانات ولا رزئوا بالتخريب فى بلادهم والفناء فى أرواحهم الا بعد ما كلت بصائرهم ونغلت نياتهم ومازج الدغل قلوبهم وخربت أماناتهم وفشا الغش والادهان بينهم ودار كل منهم حول نفسه لا يعرف أمة ولا ينظر الى ملة فاصبحوا بقناة خوارة بعد أن كانت قناتهم لا تلين لغامز الا أن بقية من تلك الأخلاق المحمدية كانت لم تزل راسخة فى نفوس كثير منهم كامنة فى طى ضمائرهم فهى التى انهضتهم من كبوتهم وحملتهم على الجد فى كشف السطوة الغريبة عن بلادهم فاجلوا الأمم الافرنجية بعد مئين من السنين وخلصوا البلاد السورية من أيديهم وطوقوا الجنكيزيين بطوق الاسلام والبسوهم تيجان شرفهم ولكنهم لم يستطيعوا حسم داء الضعف واعادة ما كان لهم من الشوكة الى المقام الأول فان ما كان من شوكة وقوة انما هو أثر العقائد الحقة والصفات المحمودة فلما خالط الفساد هذه وتلك تعسر عود السهم

الى النزعة . ولهذا ذهب المؤرخون الى أن بداية الانحطاط فى سلطة المسلمين كانت من حرب الصليب والاليق أن يقال أن ابتداء ضعف المسلمين كان من يوم ظهور الآراء الباطلة والعقائد النيشرية «الدهرية» فى صورة الدين وسريان هذه السموم القاتلة فى نفوس أهل الدين الاسلامى

وليس بخاف أن فئة ظهرت فى الأيام الاخيرة ببعض البلاد الشرقية وأراقت دماء غزيرة وفتكت بأرواح عزيزة تحت اسم لايبعد عن اسماء من تقدمها لمثل مشربها وانما التقطت شيئاً من نفايات ماترك دهريو الموت وطبيعيو كردكوه . وتعليمها نموذج تعليم أولئك الباطنيين فعلينا أن ننتظر ما يكون من آثار بدعها فى الأمة التى ظهرت بها

«الشعب الفرنساوى»

شعب كان قد تفرد بين الشعوب الأوربية باحراز النصيب الاوفر من الأصول الستة فرفع منار العلم وجبر كسر الصناعة فى قطعة أوربا بعد الرومانيين وصار بذلك مشرقا للتمدن فى سائر الممالك الغربية وبما أحرز الفرنساويون من تلك الأصول كانت لهم الكلمة النافذة فى دول الغرب الى القرن الثامن عشر من الميلاد المسيحى حتى ظهر فيهم (وولتير) و(روسو) يزعمان حماية العدل ومغالبة الظلم والقيام بانارة الأفكار وهداية العقول فنبشا قبر أبيقور الكلبي وأحييا مابلى من عظام الناتور اليسم (الدهريين) ونبذا كل تكليف دينى وغرسا بذور الاباحة والاشتراك وزعما أن الآداب الألهية جعليات خرافية كما زعما أن الاديان مخترعات أحدثها نقص العقل

الانسانی وجهر کلاهما بأنکار الالوهیة ورفع کل عقیرته بالتشنیع علی الانبیاء « برأهم الله مما قالا » وکثیراً ما ألف وولتیر من الکتب فی تخطئة الانبیاء والسخریة بهم والقدح فی أنسابهم وعیب ما جاؤا به فاخذت هذه الأباطیل من نفوس الفرنساویین ونالت من عقولهم فنبذوا الدیانة العیسویة ونفضوا منها أیدیهم وبعد أن أغلقوا أبوابها فتحوا علی أنفسهم أبواب الشریعة المقدسة « فی زعمهم » شریعة الطبیعة وزاد بهم الهوس فی بعض أیامهم حتی حمل لفیفاً من عامتهم أن یتناولوا بنتاً من ذوات الجمال فیهم ویحملوها إلی محراب الکنیسة ففعلوا ونادی زعیم القوم . أیها الناس لا یأخذکم الفزع بعد الیوم من هدهدة الرعد ولا التماع البرق ولا تظنوا شیئاً من ذلك تهدیداً لکم من إله السماء یرسله علیکم لیعظکم به ویزعجکم عن مخالفته کلا فهذه کلها آثار الطبیعة « الناتور » ولا مؤثر فی الوجود سوی « الناتور » خلوا عن أعناقکم قیود الأوهام ولا تقیموا لأنفسکم إلهاً من خواطر ظنونکم فان کانت العبادة من رغائب شهواتکم فها هی (مدموازیل) أی العذراء قائمة فی المحراب علی مثال الدمیة فاسجدوا لها ان شئتم

والاضالیل التی بثها هذان الدهریان « وولتیر وروسو » هی التی أضرمت نار الثورة الفرنساویة المشهورة ثم فرقت بعد ذلك أهواء الامة وأفسدت أخلاق الکثیر من أبنائها فاختلفت فیها المشارب وتباینت المذاهب وأوغلوا فی سبل الخلاف زمناً یتبعه زمن حتی تباین صدعهم

وذهب كل فريق يطلب غاية لا يرى وراءها غاية وليس بينها و بين غايات سائر الفرق مناسبة وانحصر سعى كل قبيل فى التماس ما يواتى لذته ويوافق شهوته وأعرضوا عن منافعهم العامة وأعقب ذلك عروض الخلل لسياستهم الخارجية شرقا وغربا

نعم أن نابليون الأول بذل جهده فى اعادة الديانة المسيحية الى ذلك الشعب استدراكا لشأنه لكنه لم يستطع محو آثار تلك الاضاليل فاستمر الاختلاف بالفرنساويين الى الحد الذى هم عليه اليوم . هـذا الذى جر الفرنساويين للسقوط فى عار الهزيمة بين يدى الجرمانيين وجلب اليهم من الخسارة ما تعسر عليهم تعويضه فى سنين طويلة . هذه الاباطيل الدهرية قام عليها مذهب الكمون أى الاشتراكيين ونما هذا المذهب بين الفرنساويين ولم تكن مضار الآخذين به ومفاسدهم فى البلاد الفرنساوية أقل من مضار الجرمانيين (راجع تاريخ الحرب بين فرنسا والمانيا) ولو لم يتدارك الأمر أرباب العقائد النافعـة والسجايا الحسنة لنسف الاشتراكيون كل عمران على أديم فرنسا ومحوا مجد الأمة تنفيذاً لاهوائهم وجلباً لرغائبهم

« الامة العثمانية »

انما رقت حالتها فى الأزمنة المتأخرة بما دب فى نفوس بعض عظمائها وامرائها من وساوس الدهريين فان القواد الذين اجترحوا إثم الخيانة فى الحرب الأخيرة بينها و بين الروسـية كانوا يذهبون مذهب النيشريين

(الدهريين) وبذلك كانوا يعدون أنفسهم من أرباب الافكار الجديدة (أبناء العصر الجديد)

زعموا بما كسبوا من أوهام الدهريين ان الانسان حيوان كالحيوانات لايختلف عنها فى أحكامها وهذه الأخلاق والسجايا التى عدوها فضائل تخالف بجميعها سنن الطبيعة المطلقة (الناتور) وانما وضعها تحكم العقل وزادها تطرف الفكر ، فعلى من بصر بالحقيقة (على زعم أولئك المارقين) أن يستنتج كل طريق لتحصيل شهواته واستيفاء لذاته ولا يأخذ نفسه بالحرمان من ملاذه وقوفاً عند خرافات القيود الواهنة والموضوعات الانسانية الواهية ، وحيث أن الفناء حتم على الأحياء فما هو الشرف والحياء وماهى الامانة والصدق وأى شئ هو العفة والاستقامة ، ولهذا خان أولئك الامراء ملتهم مع ما كان لهم من الرتب الجليلة ورضوا بالدنية واستناموا إلى الخسة ونسفوا بيت الشرف العثمانى فى تلك الحرب وجلبوا المذلة على شعوبهم بعرض من الحطام قليل

السوسياليست (الاجتماعيون) النهيليست (العدميون)

الكمونيست (الاشتراكيون)

هـذه الطوائف الثلاثة تتفق فى سلوك هذه الطريقة (الدهرية) وزينوا ظواهرهم بدعوى أنهم سند الضعفاء والطالبون بحقوق المساكين والفقراء وكل طائفة منها وان لونت وجه مقصدها بما يوهم مخالفته لمقصد الاخرى الا ان غاية ما يطلبون انما هو رفع الامتيازات الانسانية كافة

واباحة الكل للكل وإشراك الكل فى الكل . وكم سفكوا من دماء وكم هدموا من بناء وكم خربوا من عمران وكم أثاروا من فتن وكم أنهروا من فساد كل ذلك سعياً فى الوصول الى هذه المطالب الخبيثة . وجميعهم على اتفاق فى أن جميع المشتهيات الموجودة على سطح الأرض منحة من الطبيعة وفيض من فيوضها والاحياء فى التمتع بها سواء واختصاص فرد من الانسان بشىء منها دون سائر الافراد بدعة فى شرع الطبيعة سيئة يجب محوها والاراحة منها . ومن مزاعمهم أن الدين والملك عقبتان عظيمتان وسدان منيعان يعترضان بين أبناء الطبيعة ونشر شريعتها المقدسة (الاباحة والاشتراك) وليس من مانع أشد منهما فاذن من الواجب على طلاب الحق الطبيعى أن ينقضوا هذين الاساسين ويبيدوا الملوك ورؤساء الاديان

ثم يعمدوا الى الملاك وأهل السعة فى الرزق فان دانوا لشرع الطبيعة فخرجوا عن الاختصاص فتلك والا أخذ باعناقهم قتلا وبأكظامهم خنقا حتى يعتبر بهم من يكون من أمثالهم فلا يلوون رؤوسهم كبرا على الشريعة المقدسة (شريعة الطبيعة) ولا تزور أعناقهم عصيانًا لاحكامها

نظر أبناء هذه الطوائف الثلاثة فى وجوه الوسائل لبث أفكارهم والافضاء بما فى أوهامهم الى قلوب العامة فلم يجدوا وسيلة أنجح فى زرع بزور الفساد فى النفوس من وسيلة التعليم إما بانشاء المدارس تحت ستار نشر المعارف أو بالدخول فى سلك المعلمين فى مدارس غيرهم ليقرروا أصولهم فى اذهان الاطفال وهم فى طور السذاجة فتنتقش بها مداركهم

بالتدريج . فمن أولئك الدهريين من همه بناء المدارس ودعوة الناس اليها ومنهم متفرقون فى بلاد أوربا يطلبون وظائف التعليم وينالون من ذلك طلبتهم وجميعهم يتعاونون على اذاعة خيالاتهم الباطلة وبهذا كثرت أحزابهم ونمت شيعتهم فى أقطار الممالك الاروبية خصوصاً مملكة الروسية . لاجرم ان هذه الطوائف اذا استفحل أمرها وقوى ساعدها على المجاهرة باعمالها فقد تكون سبباً فى انقراض النوع البشرى كما تقدم ذكره أعاذنا الله من شرور أقوالهم وأعمالهم

(مورمون)

هذا النبى الاخير والرسول الممتاز بالبعثة من قبل الناتور (الطبيعة) نشأ فى انكلترا ثم هاجر منها الى أميركا وأعلن ما ألقى اليه بالهام الطبيعة من أن النعمة العظمى (يريد الاباحة والاشتراك) انما يؤتاها من كان مؤمنا بالطبيعة وليس لغيره من الكفرة بها حق التمتع بتلك النعمة واجتمع اليه عدد من ضعفة العقول فألف منهم جمعيتين احداهما من المؤمنين والاخرى من المؤمنات وقال لكل مؤمن حق التمتع بكل مؤمنة حتى كانت اذا سئلت احدى المؤمنات : زوجة من أنت ؟ تجيب انها زوجة جماعة المؤمنين واذا سئل أحد أبنائهن : ابن من أنت ؟ يجيب انه ابن الجمعية الا انه الى الآن لم يصعد لهيب فسادهم من هوة الويل (هوة جمعيتهم)

(دهريو الشرقيين)

أما منكرو الالوهية أعني النيشريين الذين ظهروا فى لباس المهذبين ولونوا ظواهرهم بصبغ المحبة الوطنية وزعموا أنفسهم طلاب خير الامة فصاروا بذلك شركاء اللص ورفقاء القافلة ثم تجلوا فى أعين الاغبياء حملة لاعلام العلم والمعرفة وبسطوا للخيانة بساطاً جديداً وتولاهم الغرور بما حفظوا من كلمات قليلة ناقصة غير تامة الافادة مسروقة من أوهام المبطلين وفتلوا سبالهم كبرا وعلواً ولقبوا أنفسهم بالهادين والادلاء وهم فى اطباق جهل وارتاق غباوة وفى أهب من دنس الرذائل ومسوك من قذر الدمائم فاولئك قوم قوى فيهم الظن بان العقل وثمرته من المعرفة ينحصران فى تبين وجوه الغدر وتعرف طرق الاختلاس . وانى لفى خجل من ذكرهم يدافعنى الحياء عن رواية سيرهم وحكاية أعمالهم فان مقاصدهم من الدناءة بحيث لاتخرج عن جيوبهم . يسعون فى اقتلاع أساس أمتهم لشهوة بطونهم . يحددون شفارهم لتقطيع روابط الالتئام بين بنى جنسهم لايبتغون بذلك عوضاً سوى حشو معدهم وما أضيق مجال أفكارهم . الى الآن لم يخط أحدهم خطوة خارج كرشه ولم يمد واحد منهم رجله لأبعد من فرشه وليس فى وسع القلم أن يتحرك فى هذا المجال الضيق غير انه يمكن أن يقال انهم (بياجوا) لغيرهم من أهل الضلالة (أى سيئو التقليد لهم) وما بقى من أوصافهم لايخفى على فهم القارئين

(مضار انكار الالوهية)

تبين مما أسلفناه أن طائفة النيشريين (الدهريين) كلما نجمت فى أمة أفسدت أخلاقها وأوقعت الخلل فى عقولها وتخطفت قلوب آحادها بأنواع من الحيل وألوان من التلبيس حتى تصبح تلك الامة وقد وهى أساسها وتفطر بناؤها واغتالها رذائل الاخلاق من الأثرة وعبادة الشهوات والجرأة على ارتكاب الخيانات ولا زال الفساد يتغلغل فى أحشائها حتى تضمحل ويمحى اسمها من صفحة الوجود أو تضرب عليها الذلة ويخلد أبناؤها فى الفقر والعبودية

الا أن قبيلا من هذه الطائفة عملوا على اخفاء مقصدهم الاصلى وهو الاباحة والاشتراك واكتفوا فى ظاهر الامر بانكار الالوهية وجحود يوم الدين يوم العرض والجزاء وقد يظن بعض ضعفة العقول أن فى ذلك بسطة الفكر وسعة الحرية لهذا أحببت أن أبين أن هذه النزعة وحدها كافية فى افساد الهيئة الاجتماعية وتزعزع أركان المدنية وليس من ضروب الباطل ماهو أشد منها تأثيراً فى محو الفضائل واثارة الخبائث والرذائل وليس من الممكن أن يجتمع لشخص واحد وهم الدهرى وفضيلة الامانة والصدق وشرف الهمة وكمال الرجولية

ذلك أن كل فرد من نوع الانسان قد أودع بحسب فطرته وبناء بنيته شهوات تميل به الى مشتهيات فشهواته تدفعه الى تحصيل مشتهياته ولا يستطيع تسكين هواه ولا كسر سورة نفسه الا بنيل مايمكنه من

تلك المشتهيات كأنه يعالج ألم الطلب بما يصل اليه من المطلوب ولم تجد الطبيعة طريقاً معينة يسنكها الراغبون للوصول الى رغائبهم فسبيل حق . وسبيل باطل . وسبيل الفتنة والفساد ، وسبيل الهدى والرشاد ، وسبيل سفك الدماء واغتصاب الحقوق ، وسبيل الاجمال والتعفف ، وكلها ميسر للطالب غير ممتنع على السالك

فقصر النفوس على طريقة محدودة وتوقيف هوائها عندحدود معينة ومنعها من تجاوز حد الاعتدال فى آثارها وأعمالها وارضاء كل ذى شهوة بحقه وكفه عن الاعتداء والاجحاف بحقوق غيره هذا كله انما يكون باحد أمور أربعة

(الأمور التى يمكن بها الزام النفس حدود العدل)

اما أن يحمل كل ذى حق آلة حربه فيخترط سيفه ويعتقل رمحه ويرفع ترسه ويقوم ليله ونهاره يقدم إحدى رجليه ويؤخر الاخرى دفاعا عن حقه . وأما شرف النفس كما يزعمه ارباب الاهواء ، واما الحكومة واما الاعتقاد بأن لهذا العالم صانعاً قادراً محيط العلم نافذ الحكم وانه يوفى كل عامل جزاء عمله من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ثواباً جزيلاً أو عقاباً وبيلا فى حياة بعد هذه الحياة

(الأول المدافعة الشخصية)

أما الأول فبراز وضراب ونضال وقتال وجلاد تسيل به الاودية

مهجاً وتخضل به الربى دماً وتتفانى به النفوس طلباً للحقوق أو دفاعاً عنها وتكون الدائرة للاقوياء على الضعفاء حتى إذا قوى الضعفاء يوماً ما ثاروا على الاقوياء فلا يزال صاحب القوة يطحن الضعيف والاقران يسحق بعضهم بعضا إلى أن يعم جميعهم الفناء وينقرض النوع الانسانى من وجه البسيطة

(الثانى شرف النفس)

أما الثانى فتقدم الكلام فيه ببيان شرف النفس فهى صفة تنكب بصاحبها عن اتيان مايذم عندقبيلته وغشيان مايقبح فى انظار عشيرته ويقابلها خسة النفس وهى صفة لايتأثر معها صاحبها من التشنيع ولا تنفعل نفسه من التقبيح ، فتلك الصفة أعنى شرف النفس ليست لها حقيقة معينة ولا هى فى حدود معروفة عند جميع الامم حتى يمكنهم بالمحافظة عليها أن يقفوا بالشهوات عند حد الاعتدال ، ألا ترى أن كثيراً من الأمور يعد ارتكابه عند بعض الأمم خسة ودناءة وهو بعينه عند بعض آخر شرف ورفعة يستتبع المدح والثناء على أنه فى الحقيقة شر الشرور وأعظم الفجور تتبين ذلك من حال سكان البادية وأهل الجبال من القبائل المتبدية ، فانهم يعدون الغارة والفتك بالارواح وانتهاب الاموال واسترقاق الاحرار من فعال المجد وبلوغ الغاية منها بلوغ الى نهاية الشرف وهذه الفعال بعينها يعدها سكان المدن وأهل الحضارة من لواحق الدناءة وعلائم خسة النفس وكذلك الحيلة والمكر يحسبهما قوم خسة وخبثاً ويحسبهما آخرون حكمة وعقلا

وإذا أمعنت النظر فى المسألة وجدت أن لكل كائن فى عالم الامكان علة غائية والعلة الغائية لاعمال الانسان إنما هى نفسه فهو لايطلب شرف النفس ولا يسعى للتجمل به الا لطمعه فى توفير رزقه وتوسيع سبل معيشته وخوفه من ضيق مسالك العيش عليه فانه يعلم أن شرف النفس يرد إلى صاحبه شوارد القلوب ويجعله مكان ثقتها ويظهره فى بهاء الصدق والامانة فيعظم الركون اليه وتكثر أعوانه وفى ذلك توفر أسباب المعيشة واتساع طرقها بخلاف من تلتاث نفسه بالخسة فذلك مقذوف القلوب منبوذ الطباع لا ينبسط اليه النظر ولايحوم عليه الخاطر فهو قليل الاعوان عديم الاخوان ومن كان هذا حاله سدت عليه أبواب الرزق واكتنفته غائلات الفاقة فيكون ميل الانسان إلى شرف النفس ودرجته من القوة والضعف وتمكنه من نفسه وعدم تمكنه ومراتب اثره فى كبح الشهوات وردها عند تخوم العدالة انما هو على حسب أحوال الطبقات فى معائشهم بمعنى أن كل طبقة من الناس تطلب من تلك الصفة ماينفعها فى معيشتها ويحفظها من طارقة السوء بل لاترى كل طبقة أن شيئاً يعد من الشرف إلا تلك الصفة التى تحفظ بها المنزلة وتصان بها مواد المعيشة ، وما زاد على ذلك فلا يعد فقدانه نقصاً ولا الخلو عنه انحطاطاً فلا تسعى لاستحصاله وإن عده قوم آخرون من جوهر الشرف ومن مقومات الكمال وإن لنا عبرة فى أغلب السلاطين والأمراء فانهم مع أخذهم بمذاهب الشرف لا يبالون بنقض العهود وخفر الذمم خصوصاً مع من دونهم فى السلطان ومن لا يضارعهم فى القوة ولا يأنفون الظلم ولا ينكرون الغدر ولا يتجافون مذمة من

تلك المذام ولا يعدون شيئاً منها خسة ولا يحسبونه من غاشيات الدناءة مع أن واحداً من هذه الفعال لو صدر من آحاد الرعية بعضهم مع بعض لعد من دنيات الفعال ورمى فاعله بخسة النفس وسقوطها عن مراتب الشرف ومن هذا الوجه كان الخلل يعرض لنظام المعيشة حيث أن سائر الطبقات لاينظرون إلى ما يصدر عن أمرائهم ورؤسائهم نظرهم إلى ما يصدر عن آحادهم فهم يذهبون مذهب التأويل فى أعمال الرؤساء والكبراء ، وهكذا حال الطبقات العالية بالنسبة لما دونها طبقة بعد طبقة أى ان كل طبقة عالية تزعم نفسها مصونة من المثالب محفوظة من الشنائع ومنزلتها ممن دونها تحمل الادنين على الاقرار لها بما تزعم فلو كان قوام النظام فى العالم الانسانى بشرف النفس لانطلقت أيدى العدوان من الطبقات الرفيعة فيما دونها وتفتحت أبواب الشر والفساد فى وجه هذا النوع الضعيف

هذا كله اذا فرضنا وقوف كل طالب لشرف النفس عند ما يظنه شرفاً لايخالفه إلى سواه لاخفية ولا جهرة لكن حيث كان الباعث على التجمل بهذا الوصف انما هو الرغبة فى تحسين المعيشة والفرار من مضانكها فقلما يستوى ظاهر الانسان وباطنه فى هذه الصفة فهو فى معلنات أموره يسلك سبل الشرف لينال حظه من ميل القلوب اليه ثم لايمنعه ذلك من غشيان الخيانة الخفية وغمس يديه فى قذر العدوان من وراء حجاب التستر وبسط كفه لتناول الرشوة فى زوايا المحاكم لان طالب خفض العيش يعرف أن هذه الخبائث الخفية تصل به إلى مقصده من السعة على أمن من

الاشتهار بصفة الدناءة وذلك معروف من أحوال المدّاعين الظاهرين في ثياب الشرف والعفة والله أعلم ماذا يسترون تحت ذيولهم ومايضمرون دون جيوبهم وما يخزنون من الاموال فى زوايا بيوتهم

فاذن لايليق بذى عقل أن يجعل شرف النفس ميزاناً للعدل ، ولا مكان للظن بأن هذه الصفة تقف بكل عند حده وترضيه بحقه وتكف النفوس عند غصب الحقوق وتدفعها عن الجور وتمنعها عن الحيف ماظهر منه وما بطن

فان قال قائل إن حب المحمدة مما أشربته قلوب البشر وهو باعث على الاستمساك بشرف النفس لما يستعقبه من حسن الحمد فكل ذى فطرة انسانية يسعى لكسب المحمدة لابد أن يطلب الغاية من خلة الشرف النفسى وينزه نفسه عن جميع الرذائل ويرفعها عن معاطاة الدنايا والخسائس ويبتعد بها عن مخالج الحيف والعدوان . فنقول فى جوابه أولا إذا تعارض موجب المدح والثناء ومقتضى الشهوات البدنية فقليل من الناس من يختار الأول على الثانى والجمهور الاغلب مغلوب للشهوة مأسور للذة والنظر فى طبقات الناس وأحوالهم على اختلافهم يثبت لنا ذلك . وثانياً انصاغة المدائح ونساج المحامد صنف من الناس أشباه انسان وأسناخ حيوان . أولئك المعروفون بالمؤرخين والشعراء الكاذبين ولا باعث لهؤلاء على نثر المحامد ونظم القصائد الانضارة الثروة فى الممدوحين ورونق الجاه والجلالة فى المحمودين من غير نظر إلى مناشئ الجاه ولا موارد الثروة فمناط الحمد احدى البسطتين وان حفت بالمظالم وأحيت باللوائم

ولهذا تنبعث نفوس كثير من الناس للوصول إلى هذه المظاهر فيطلبون الغنى والثروة والجاه والعظمة ولو كان ذلك من وجوه الغدر وطرق الحيف والظلم لينالوا بذلك حظهم من اللذائذ البدنية كما يصيبون سهمهم من المدائح على ألسنة أولئك المدلسين وليس بكثير فى الناس طلاب المحمدة الحقة اللاقطون لدرر المدائح من باحات الفضائل وساحات المكارم المرتادون للحمد بين حدود الحق وأولئك الحافظون لشرف النفس وقليل ماهم . فلم تبق ريبة فى قصور هذه الخلة أعنى شرف النفس عن الكفاية فى تعديل الأخلاق وتحديد الشهوات وحجب العدوان وحفظ النظام الانسانى اللهم الا أن تكون مستندة الى عقيدة فى دين وتكون حقيقتها محدودة فى ذلك الدين فعند ذلك تكون دعامة لبناء الشركة الانسانية ومعقداً لروابط الالفة وسبباً لانتظام سلسلة المعاملات لاستنادها على الدين لا بنفسها مجردة كما مرت الاشارة اليه فى صفة الحياء

﴿ الثالث الحكومة ﴾

وأما الثالث (الحكومة) فليس بخاف أن قوة الحكومة انما تأتى على كف العدوان الظاهر ورفع الظلم البين أما الاختلاس والزور المموه والباطل المزين والفساد الملون بصبغ من الصلاح ونحو ذلك مما يرتكبه أرباب الشهوات فمن أين للحكومة أن تستطيع دفعه وأنى يكون لها الاطلاع على خفيات الحيل وكامنات الدسائس ومطويات الخيانة ومستورات الغدر حتى تقوم بدفع ضرره على أن الحاكم وأعوانه قد يكونون بل كثر

ما كانوا ويكونون ممن تملكهم الشهوات فاى وازع يأخذ على أيدى أصحاب السلطة ويمنعهم من مطاوعة شهواتهم المتسلطة على عقولهم وأى غوث ينقذ ضعفاء الرعايا وذوى المكنة منهم من شره أولئك المتسلطين وحرصهم لاجرم قد يكون الحاكم فى خفى أمره رئيس السارقين وفى جلى حاله قائد الناهبين واعوانه آلات يستعملها فى الجور وأدوات يستعين بها على الفساد والشر فيعطلون من حقوق عباد الله ويهتكون من اعراضهم ويغنمون من أموالهم يروون ظمأ شهواتهم بدماء الضعفاء وينقشون قصورهم بمهج الفقراء وبالجملة يكون مبلغ سعيهم هلاك العباد ودمار البلاد

(الامر الرابع الاعتقاد بالالوهية)

فاذن لم يبق للشهوة قامع ولا للأهواء رادع الا الأمر الرابع أعنى الايمان بان للعالم صانعاً عالماً بمضمرات القلوب ومطويات الانفس سامى القدرة واسع الحول والقوة مع الاعتقاد بانه قد قدر للخير والشر جزاء يوفاه مستحقه فى حياة بعد هذه الحياة . وفى الحق ان هاتين العقيدتين وازعان قويان يكبحان النفس عن الشهوات ويمنعانها عن العدوان ظاهره وخفيه وحاسمان صارمان يمحوان أثر الغدر ويستأصلان مادة التدليس وهما أفضل وسيلة لاحقاق الحق والتوقيف عند الحد وهما مجلبة الامن ومتنسم الراحة وبدون هذين الاعتقادين لاتقر هيئة للاجتماع الانسانى ولا تلبس المدنية سربال الحياة ولا يستقيم نظام المعاملات ولا تصفوا صلات البشر من شائبات الغل وكدورات الغش

فلو خويت القلوب من هاتين العقيدتين لسكنتها شياطين الرذائل وسدت عليها طرق الفضائل ومن أين لمنكر الجزاء أن يكف نفسه عن خيانة أو يترفع بها عن كذب وغدر وتملق ونفاق وقد تقرر أن العلة الغائية لأعمال الانسان انما هى نفسه كما سبق فان لم يؤمن بثواب وعقاب وحساب وعتاب فى يوم بعد يومه فما الذى يمنعه عن ذمائم الفعال خصوصاً اذا تمكن من إخفاء عمله وأمن من سوء عاقبته فى الدنيا أو رأى منفعته الحاضرة فى ركوب طريق الرذيلة والعدول عن سنن الفضيلة وأى حامل يحمله على المعاونة والمرادفة والمرحمة والمروءة وعلو الهمة وما يشبه ذلك من الاخلاق التى لاغنى للهيئة الاجتماعية عنها (ولئن وجد فى أحد الجاحدين شئ من مكارم الاخلاق بمقتضى الغريزة لكان عرضة للفساد أو كان ابتر ناقصاً لفقد ما يمده من سائر صفات الكمال)

وقد تبين أن أول تعاليم النيشريين (الدهريين) أبطال هذين الاعتقادين (الاعتقاد بالله والاعتقاد بالحياة الابدية) وهما أساس كل دين وآخر تعاليمهم الاباحة والاشتراك . فهؤلاء القوم هم الساعون فى نسف بناء الانسانية وتذريته فى ذيول السافيات يطلبون ضعضعة أركان المدنية وفساد الاخلاق البشرية ويقوضون بذلك ما رفعه العلم وشادته المعرفة فيهلكون الأمم بأطفاء حرارة الغيرة واخماد ريح الحمية ، هؤلاء جراثيم اللؤم والخيانة وأرومات الرذالة والدناءة واحلاس الخسة والنذالة وأعلام الكذب والافتراء ودعاة الحيوانية العجماء محبتهم كيد وصحبتهم صيد وتوددهم مكر ومواصلتهم غدر وصداقتهم خيانة ودعواهم للانسانية حبالة ودعوتهم

للعلوم شرك ومكيدة ، يخونون الامانة ولا يحفظون السر ويبيعون الصق الناس بهم بأدنى مشتهياتهم ، عبيد البطون وأسراء الشهوات لا يستنكفون من الدنية إذا أعقبتها عطية ولا يخجلون من الفضيحة إذا تبعتها رضيخة لا علم عندهم بالوقار ولا احساس لهم بالعار ولم يبلغهم عن شرف النفس خبر مخبر ولا وصل اليهم عن الهمة عبارة معبر أو تفسير مفسر الابن فيهم لا يأمن أباه والبنت لا أمان لها من كليهما ، نعم أى حد تقف دونه حركات طبع الطبيعيين

قد يوجد بين الناس من تغره نعومة لمس هذه الافاعى وروقه وقطة جلودها وانتظام الرقش فيها فينخدع لهم بما يلتبس عليه من أمرهم فيصغى لزخرف قولهم ويظن أن هؤلاء القوم من طلاب التمدن والاعوان على الاصلاح أو من الراغبين فى بث المعارف أو المنقبين عن الحقائق أو يتخيل أن منهم من يكون غوثاً عند الضيق أو عوناً فى الشدة أو مخزناً للاسرار عند الحاجة فذلك المغرور بمظاهر هذه الطائفة لا محالة يبكى عليه ويضحك منه فالضحك عجباً من غروره والبكاء حزناً على ضلاله

فتبين مما قررناه أن الدين وان انحطت درجته بين الأديان وهى أساسه فهو أفضل من طريقة الدهريين وأمس بالمدنية ونظام الجمعية الانسانية وأجمل أثراً فى عقد روابط المعاملات بل فى كل شأن يقيد المجتمع الانسانى وفى كل ترق بشرى الى أية درجة من درجات السعادة فى هذه الحياة الأولى

ولما كان نظام الاكوان قد بنى على أساس الحكمة ونظام العالم

الانسانى جزء من النظام الكونى ألهم الله نفوس البشر أن تفزع إلى مقاومة أولئك المفسدين (الدهريين) فى أى زمان ظهروا ومدافعة مايعرض من شرهم (كما ألهمهم الفزع من الحيوانات المفترسة والنفرة من الأغذية السامة) وأنهض حفاظ النظام المدنى الحقيقى وهو الدين لبذل الجهد وافراغ الوسع فى محو آثارهم واستئصال مايغرسون فى تعاليمهم لاجرم أن مزاج الانسان الكبير (يعنى عموم النوع) بما أودع الله فيه من الشعور الفطرى وهو أثر الحكمة الالهية العامة يمج هؤلاء الخونة ولا يحتمل وجودهم فى باطنه فيدفعهم كما تدفع الفضلات من المعدة أو الذنانة من المنخر أو النخامة من الصدر لهذا تراهم وان حلوا بعض منازل الأرض من زمان بعيد وأيدهم بعض النفوس الخبيثة من ذوى الشوكة لاغراض سافلة الا أنهم لم يثبتوا ولم يتم لهم أمر بل كان عارض السوء منهم كسحاب الصيف كلما ظهر تقشع والنظام الحقيقى لنوع الانسان وهو الدين لم يزل قاراً راسخاً فى جميع الأجيال وعلى أى الاحوال

فلم تبق ريبة أن الدين هو السبب الفرد لسعادة الانسان فلو قام الدين على قواعد الأمر الالهى الحق ولم يخالطه شئ من أباطيل من يزعمونه ولا يعرفونه فلا ريب أنه يكون سبباً فى السعادة التامة والنعيم الكامل ويذهب بمعتقديه فى جواد الكمال الصورى والمعنوى ويصعد بهم إلى ذروة الفضل الظاهرى والباطنى ويرفع أعلام المدنية لطلابها بل يفيض على المتمدنين من ديم الكمال العقلى والنفسى مايظفرهم بسعادة

الدارين والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . وهذا آخر مادعت اليه الحاجة من المقابلة بين مذهب الدهريين وبين الدين على وجه عام وأثر كل من الامرين فى بنية الاجتماع الانسانى والله أعلم

﴿ دين الاسلام ﴾

اذا نظرنا فيما بين أيدينا من الأديان وجدنا دين الاسلام قدأقيم على أساس من الحكمة متين ورفع بناؤه على ركن لسعادة البشر ركين . ذلك أن عروج الأمم على معارج الحق الأعلى وتدرج الشعوب فى مدارج العلم الاجلى وصعود الأجيال على مراقى الفضائل وأشراف طوائف الانسان على دقائق الحقائق ونيلهم للسعادة الحقيقية فى الدارين كل ذلك مشروط بأمور لايتم الا بها

(الأمور التى تتم بها سعادة الأمم)

الأول صفاء العقول من كدر الخرافات وصدإ الأوهام فان عقيدة وهمية لو تندس بها العقل لقامت حجاباً كثيفاً يحول بينه وبين حقيقة الواقع ويمنعه من كشف نفس الأمر بل ان خرافة قد تقف بالعقل عن الحركة الفكرية وتدعوه بعد ذلك أن يحمل المثل على مثله فيسهل عليه قبول كل وهم وتصديق كل ظن وهذا مما يوجب بعده عن الكمال ويضرب له دون الحقائق ستاراً لايخرق وفوق ذلك ماتجلبه الاوهام على النفوس من الوحشة وقرب الدهشة والخوف مما لا يخيف والفزع مما لايفزع . ترى الواهم المسكين يقضى حياته بين رجفة واضطراب

يتطير من طيران الطيور وحركات البهائم ويضطرب من هبوب الرياح وينزعج لقصف الرعد والتماع عليه البرق ويسلك به الوهم طرق الخيفة مما لا أثر له فى الاخافة وبهذا يسجل عليه الحرمان من أغاب أسباب السعادة ثم يكون ألعوبة فى أيدى المحتالين وصيداً فى حبائل الماكرين والدجالين

وأول ركن بنى عليه الدين الاسلامى صقل العقول بصقال التوحيد وتطهيرها من لوث الأوهام فمن أهم أصوله الاعتقاد بأن الله متفرد بتصريف الأكوان متوحد فى خلق الفواعل والافعال وان من الواجب طرح كل ظن فى انسان أو جماد علوياً كان أو سفلياً بأن له فى الكون أثراً بنفع أو ضر أو اعطاء أو منع أو إعزاز أو اذلال ومن المفروض خلع كل عقيدة بأن الله جل شأنه ظهر أو يظهر بلباس البشر أو حيوان آخر لصلاح أو فساد أو أن تلك الذات المقدسة نالت فى بعض أطوارها شديد الآلام وأليم الأسقام لمصلحة أحد من الخلق فضلا عما يحف بذلك من خرافات كل واحدة منها كافية فى اعماء العقول وطمس نورها

وأغلب الأديان الموجودة لايخلو من هذه الاوهام ان شئت فاضرب بنظرك إلى ديانة برهما (فى الهند) ودين بوذه (فى الصين) ودين زرادشت (فى بقايا الفارسيين) وكثير من أديان أخر.

﴿ الثانى ﴾

الأمر الثانى أن تكون نفوس الامم مستقبلة وجهة الشرف طامحة الى بلوغ الغاية منه بان يجد كل واحد من نفسه أنه لائق بأية مرتبة من مراتب الكمال الانسانى ماعدا رتبة النبوة فانها بمعزل عن المطمع وانما

يختص الله بها من شاء من عباده ولا يذهب وهم أحد من الأمة الى أنه ناقص الفطرة منحط المنزلة فاقد الاستعداد لشيء من الكمالات فاذا أخذت نفوس الناس حظها من هذه الصفة أعنى الاقبال على وجوه الشرف تسابق كل مع الآخر فى مجالات الفضائل وتمادت بهم المجاراة إلى محاسن الاعمال فبلغ كل واحد ما أتى عليه سعيه من عاليات الامور وشرائف المراتب ولو أن قوماً أساؤا الظن بأنفسهم واعتقدوا أن نصيبهم من الفطرة نقص الاستعداد وخسة المنزلة وأن لا سبيل لهم إلى الوقوف فى مصاف غيرهم من طبقات الناس فلا ريب يسقط من هممهم على مقدار ماظنوا فى أنفسهم وبذلك يتولى النقص أعمالهم ويملك الخمود عقولهم فيحرمون معظم الكمالات البشرية وينقطعون دون كثير من مقامات الشرف الدنيوية وتكون جولتهم فى دائرة ضنكة محيطها دون ماظنوا بأنفسهم

ان دين الاسلام فتح أبواب الشرف فى وجوه الانفس وكشف لها عن غايته وأثبت لكل نفس صريح الحق فى أى فضيلة وانبأ كل ذى نطق بوفرة استعداده لأى منزل من منازل الكرامة ومحق امتياز الاجناس وتفاضل الاصناف وقرر المزايا البشرية على قاعدة الكمال العقلى والنفسى لاغير فالناس انما يتفاضلون بالعقل والفضيلة . وقد لانجد من الاديان ما يجمع أطراف هذه القاعدة . فذلك دين (برهما) قسم الناس الى أربعة أقسام أحدها (برهمن) وثانيها (جهترى) وثالثها (ويش) ورابعها (شودر) وقرر لكل منزلة من كمال الفطرة لايجاوزها فأعلى منازل الكمال للبرهمن ويليها منزلة الجهترى والصنف الرابع أخسها وأدناها فى جميع المزايا الانسانية

وكان هذا التقسيم سبباً فى انحطاط المتدينين بهذا الدين وقصور خطاهم عن الرقى فى مدارج المدنية وانحسار أفكارهم دون الوصول إلى ما يطلبه استعدادهم من المعارف الصحيحة والعلوم الحقة مع أنهم اقدم الأمم وأسبقها نظراً فى الكون وشؤونه . ومن الاديان ما يغلب اليوم على أمم من البشر وفى أصوله تفضيل شعب خاص على بقية الشعوب كشعب اسرائيل مثلا وكتابه المعروف يخاطب أبناء ذلك الشعب بالكرامة والاجلال ويذكر غيرهم بالتحقير والاهانة . نعم جاء رؤساء ذلك الدين او انسلوا من هذا الحكم وأغفل فيما بينهم حتى كأنه لم يكن من دينهم إلا ما سلبوه من الكرامة عن غيرهم انتحلوه لأنفسهم فارتفع امتياز الجنسية من بين أهل الدين وخلفه امتياز الصنفية فسمت منزلة الرؤساء الروحانيين فى قلوب الآخذين بدينهم حتى صار من عقائدهم أن صنفاً من الناس على منزلة القرب إلى الله بحيث لا يرد الله له طلبة ثم هو الحجاب بين الله وبين سائر الاصناف لا يقبل الله من أحد صرفاً ولا عدلا ولا يعتدله بايمان ولا يغفر له ذنباً بتوبة حتى يتوسط له أهل طبقة الرئاسة فعندهم أن كل نفس وان بلغت من الكمال ما بلغت ليس فيها ما يؤهلها لعرض ذنوبها على أبواب العفو الآلهى ولا أن ترفع اليه طلب المغفرة لخطيئاتها بل لابد فى قبول ذلك منها أن يكون بواسطة الرئيس الدينى ومن آمن بالله وصدق به وأخذ بأحكامه لا ينظر الله لايمانه حتى ينظر اليه الرئيس الدينى ويعتده ايماناً واستندوا فى هذه العقائد على نصوص من كتابهم تفيد أن ما يحلونه فى الأرض يكون محلولا فى السماء وما يعقدونه فى الارض يعقد فى السماء

وقد جلبت هذه العقيدة على أهل هذا الدين شقاء طويلا والقت بهم فى جهالة عمياء وذلة خرساء زمناً مديداً حتى ظهر فيهم مجددون نقضوا ذلك العقد وخالفوا فيه ما اشتهر من نصوص الكتاب وقلدوا فى ذلك الدين الاسلامى وسموا مذهبهم مذهب الاصلاح ونشروه فى ممالك متعددة فلم يلبث قومهم بعد ذلك أن تكشفت عنهم جهالات وحلت من أعناقهم ربق ونهضوا من حضيض ذلة الى ذروة رفعة فنطقوا بعد ما صمتوا وعلموا بعد ما جهلوا وحكموا بعد ما حكموا وسادوا بعد ما سيدوا

﴿ الثالث ﴾

الامر الثالث أن تكون عقائد الامة وهى أول رقم ينقش فى ألواح نفوسها مبنية على البراهين القويمة والادلة الصحيحة وأن تتحامى عقولهم مطالعة الظنون فى عقائدها وتترفع عن الاكتفاء بتقليد الآباء فيها فان معتقداً لاحت العقيدة فى مخيلته بلا دليل ولا حجة قد لا يكون موقناً فلا يكون مؤمناً هذا والآخذ فى عقائده بالظن ينصب عقله على متابعة الظنون والقانع بان آباءه كانوا على مثل عقيدته فاولى به أن يكون عليها يلتق مع سابقه فى مضارب الوهم وفجاج الظن وأولئك المتبعون للظن القانعون بالتقليد تقف بهم عقولهم عند ما تعودت ادراكه فلا يذهبون مذاهب الفكر ولا يسلكون طرائق النظر واذا استمر بهم ذلك تغشتهم الغباوة بالتدريج ثم تكاثفت عليهم البلادة حتى تعطل عقولهم عن أداء وظائفها العقلية بالمرة فيدركها العجز عن تمييز الخير من الشر فيحيط بهم الشقاء ويتعثر بهم البخت وبئس المآل مآلهم

فان كان لابد من الاستئناس لما نقول بقول أوربى فهذا (كيزو) الفرنساوى صاحب تاريخ (سيفليزاسيون) أى التمدن الاوربى قال ان من أشد الأسباب أثراً فى سوق أوربا إلى تمدنها ظهور طائفة فى تلك البلاد قالت ان لنا حقاً فى البحث عن أصول عقائدنا وطلب البرهان عليها ولو كان ديننا هو الدين المسيحى وعارضها كثير من رؤساء الدين ومنعوها ما ادعت من الحق محتجين عليها بأن بناء الدين على التقاليد فلما أخذت تلك الطائفة قوتها وانتشرت أفكارها نصلت عقول الاوربيين من علة الغباوة والبلادة ثم تحركت فى مداراتها الفكرية وترددت فى المجالات العلمية وكدحت لاستحصال أسباب المدنية

ان الدين الاسلامى يكاد يكون متفرداً من بين الأديان بتقريع المعتقدين بلا دليل وتوبيخ المتبعين للظنون وتبكيت الخابطين فى عشواء العماية والقدح فى سيرتهم . هذا الدين يطالب المتدينين أن يأخذوا بالبرهان فى أصول دينهم وكلما خاطب العقل وكلما حاكم إلى العقل تنطق نصوصه بأن السعادة من نتائج العقل والبصيرة وأن الشقاء والضلالة من لواحق الغفلة واهمال العقل وانطفاء نور البصيرة ويرفع أركان الحجة لاصول من العقائد كل منها ينفع العامة ويفيد الخاصة وكلما جاء بحكم شرعى اتبعه ببيان الغاية منه فى الأغلب (راجع القرآن الشريف)

وقلما يوجد من الاديان مايساويه أو يقاربه فى هذه المزية وأظن غير المسلمين يعترفون لهذا الدين بهذه الخاصة الجليلة . ومن الاديان الظاهرة مابنى أعظم أركانه على أصل الكثرة فى الواحد أو الوحدة

فى الكثير وأن الواحد يكون أكثر والكثير يكون واحداً مما تنبذه بداهة العقل فلما أنكر العقل أصل هذا أجمع أهل الدين على أنه فوق نظر العقل فلاينال الفكر دركه لابالكنه ولا بالوجه ولايهتدى لدليل عليه ولا مرشد اليهم يريدون أنه لابد من تنكب طريق العقل ونبذ أحكامه حتى لايمكن الايمان بهذا الاصل مع أن العقل مشرق الايمان فمن تحول عنه فقد دابر الايمان وان فرقاً بين مالا يصل العقل إلى كنهه لكنه يعرفه بأثره وبين مايحكم العقل باستحالته فالاول معروف عندالعقل يقر بوجوده ويقف دون سرادقات عزته أما الثانى فمطروح من نظره ساقط من اعتباره لا يتعلق به عقد من عقوده فكيف يصدق به وهو قاطع بعدمه أما أصول دين برهما فمن البين لكل ناظر فيها أن أغلبها مخالف لصريح العقل وذلك من جليات المسائل سواء اعترف أهل هـذا الدين بثبوته أو كابروا بانكاره

﴿ الأمر الرابع ﴾

الرابع أن يكون فى كل أمة طائفة يختص عملها بتعليم سائر الأمة لاينون فى تنوير عقولهم بالمعارف الحقة وتحليتها بالعلوم الضافية ولا يألون جهداً فى تبيين طرق السعادة لهم والسلوك بهم فى جوادها ثم طائفة أخرى تقوم على النفوس تتولى تهذيبها وتثقيف أودها وتكشف عن الأوصاف الفاضلة وحدودها وتمثل للمدارك فوائدها ومحاسن غاياتها وتفضح مستور الرذائل وتشق الحجاب عن مضارها وسوء منقلب

المتدنسين بها وتشتد فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لا تليها عنهما غفلة ولا تردها عنهما صعوبة

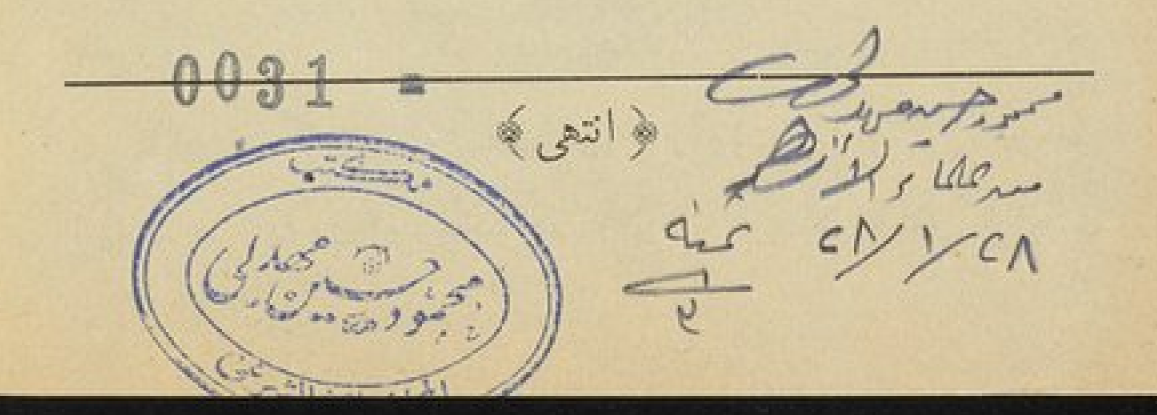
وذلك أن بداهـة العقل حاكمة بأن جل المعارف البشرية والعقائد الدينية مكتسبة فان لم يكن فى الناس معلم قصرت العقول عن درك ما ينبغى لها دركه وانقطعت دون الـكفاية مما يلزم لـضرورات الحياة الأولى والاستعداد لما يكون فى الأخرى وساوى الانسان فى معيشته سائر الحيوانات وحرم سعادة الدارين وفارق هـذه الدنيا على أتعس الاحوال فاذن من الواجب الدينى إقامة معلم . والشهوات النفسية ليس لها من ذاتها حد تقف عنده ولا لرغائب الانفس غاية تنقطع عندها فان فقد من بين الناس مقوم النفوس ومعدل الاخلاق طغى سلطان الشهوة واندفع إلى الحيف والاجحاف ومن طغت بهم شهوتهم سلبوا راحة غيرهم وهتكوا ستر أمتهم ثم هم لا ينفلتون من غائلة أعمالهم بل يحترقون بنيران شهواتهم فيرافقون الدنيا على عناء ويفارقونها إلى شـقاء فاذن لابد من الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر القائم بتقويم الاخلاق وان من أهم الاركان الدينية فى الديانة الاسـلامية هاتين الفريضتين (نصب المعلم ليؤدى عمل التعليم وإقامة المؤدب الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر) راجع القرآن الشريف (ولتكن منكم أمـة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وغير هذه الآية آيات كثيرة (فلولا نفر من كل فرقة منكم طائفـة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وسـواها آيات وقد برز دين الأسـلام على غالب الاديان فى العناية بهذين الامرين

وحيث كانت أركان الدين الاسلامى بالغة حد الكثرة فلو أخذت فى بيان ما يفيده كل ركن منها فى تقويم المدنية وتشييد بناء النظام الانسانى وإقامة الدليل على أن كل أصل من أصول هذا الدين عنصر لحياة السعادة الانسانية لخرجت عن القصد من هذه الرسالة

ولهذا أخذت على نفسى أن أضع رسالة تختص بذلك الغرض أبين فيها أن المدنية الفاضلة التى مات الحكماء على حسرة من فقدها لا تختط فى العالم الأنسانى إلا بالدين الاسلامى

فان قال قائل إن كانت الديانة الاسلامية على ما بينت فما بال المسلمين على ما نرى من الحال السيئة والشأن المحزن فجوابه أن المسلمين كانوا كما كانوا وبلغوا بدينهم ما بلغوا والعالم يشهد بفضلهم واكتفى الآن من القول بهذا النص الشريف (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

وهذا آخر ما أردت بيانه فى هذه الرسالة ينتهى به ما أجملته فى كشف سوآت النيشريين (الدهريين) ومضار طريقتهم فى المدنية والهيئة الاجتماعية الانسانية وتوضيح الادلة على منفعة الاديان ولزومها لقيام النظام البشرى خصوصاً دين الاسلام وإلى الله المنتهى ورضاه المبتغى والصلاة والسلام على خاتم رسله وآله وصحبه وسلم



﴿ انتهى ﴾